هذا كتاب الظرائف واللطائف
في المحاسن والاضداد للعالم العلامه الحبر البحر
الفهامه الشيخ ابو نصر احمد بن عبد الرزاق
المقدسي رحمه الله تعالى
ونفعنا بعلومه

يا من ترومُ معارفاً	لتصير في ذا الدهر عارف
انظر الى السِّفر الذي	يحوي الظرائف واللطايف
فيه المحاسن جمّعت	وبها تزيّنت الصحايف

فهرست كتاب الطرائف واللطائف

صحيفه		صحيفه		صحيفه		صحيفه	
٤	مدح الدّنيا	٦	ذمّ الدّنيا	٩	مدح الدّهر	١٠	ذمّ الدّهر
١٤	مدح السّلطان	١٧	ذمّ السّلطان	١٨	مدح عمل السّلطان	١٩	ذمّ عمل السّلطان
٢١	مدح الوزارة	٢٣	ذمّ الوزارة	٢٥	مدح العقل	٢٧	ذمّ العقل
٣٨	مدح العلوم	٣٢	ذمّ العلوم	٣٤	مدح الخطّ والقلم	٣٦	ذمّ الخطّ والقلم
٣٨	مدح الادب	٣٩	ذمّ الادب	٤٠	مدح الشّعر والشعراء	٤٢	ذمّ الشّعر والشعراء
٤٥	مدح الكتب والدّفاتر	٤٧	ذمّ الكتب والدّفاتر	٤٨	مدح التجارة	٥٠	ذمّ التجارة
٥١	مدح الضّياع	٥٤	ذمّ الضّياع	٥٥	مدح الدّور والابنية	٥٧	ذمّ الدور والابنية
٥٨	مدح الحمّام	٦٠	ذمّ الحمّام	٦١	مدح المال	٦٢	ذمّ المال
٦٣	مدح الغنى	٦٣	ذمّ الغنى	٦٤	مدح الفقر	٦٥	ذمّ الفقر
٦٦	مدح القناعة	٦٧	ذمّ القناعة	٦٨	مدح القلّة	٦٩	ذمّ القلّة
٧٠	مدح اللسان	٧١	ذمّ اللسان	٧٣	مدح الصّمت	٧٥	ذمّ الصّمت
٧٥	مدح الصّبر	٧٨	ذمّ الصّبر	٧٩	مدح الحلم	٧٩	ذمّ الحلم
٨١	مدح المشورة	٨٣	ذمّ المشورة	٨٤	مدح التأنّي	٨٤	ذمّ التأنّي
٨٥	مدح الوحدة والعزلة	٨٧	ذمّ الوحدة والعزلة	٨٧	مدح الشجاعة	٨٩	ذمّ الشجاعة
٩٠	مدح الجود	٩٣	ذمّ الجود	٩٣	مدح البخل	٩٤	ذمّ البخل
٩٥	مدح الحقد	٩٦	ذمّ الحقد	٩٧	مدح الحياء	٩٨	ذمّ الحياء
٩٩	مدح الاخوان والاصحاب	١٠١	ذمّ الاخوان والاصحاب	١٠٤	مدح المزاح	١٠٥	ذمّ المزاح
١٠٦	مدح الغناء	١٠٧	ذمّ الغناء	١٠٨	مدح الحجاب	١٠٨	ذمّ الحجاب
١١٠	مدح الزيارة	١١٠	ذمّ الزيارة	١١١	مدح النساء	١١٤	ذمّ النساء
١١٥	مدح التزوّج	١١٦	ذمّ التزوّج	١١٦	مدح الجواري	١١٨	ذمّ الجواري
١١٩	مدح العيال	١١٩	ذمّ العيال	١٢٠	مدح الولد	١٢١	ذمّ الولد

تتميم فهرست كتاب الظرائف واللطائف

صحيفه	صحيفه	صحيفه	صحيفه
١٢٤ مدح البنات	١٢٤ ذم البنات	١٢٥ مدح الغلمان	١٢٧ ذم الغلمان
١٢٨ مدح الخط والعذار	١٢٩ ذم الخط والعذار	١٣٠ مدح المماليك	١٣٢ ذم المماليك
١٣٥ مدح الخصيان	١٣٦ ذم الخصيان	١٣٦ مدح النبيذ	١٤٠ ذم النبيذ
١٤١ مدح الصبوح	١٤٢ ذم الصبوح	١٤٥ مدح السماع	١٤٦ ذم السماع
١٤٧ مدح الزجاج	١٤٨ ذم الزجاج	١٤٩ مدح الذهب	١٥٢ ذم الذهب
١٥٢ مدح الشطرنج	١٥٤ ذم الشطرنج	١٥٤ مدح النرجس	١٥٦ ذم النرجس
١٥٧ مدح الورد	١٥٨ ذم الورد	١٥٩ مدح الشتاء	١٦٠ ذم الشتاء
١٦١ مدح الصيف	١٦١ ذم الصيف	١٦٢ مدح المطر	١٦٤ ذم المطر
١٦٤ مدح القمر	١٦٥ ذم القمر	١٦٥ مدح السفر	١٦٧ ذم السفر
١٦٨ مدح الغربة	١٦٩ ذم الغربة	١٧١ مدح الفراق	١٧٢ ذم الفراق
١٧٣ مدح البكاء	١٧٥ ذم البكاء	١٧٦ مدح الرؤيا	١٧٦ ذم الرؤيا
١٧٧ مدح الهدية	١٧٩ ذم الهدية	١٧٩ مدح الدين	١٨٠ ذم الدين
١٨١ مدح الشباب	١٨٤ ذم الشباب	١٨٤ مدح الشيب	١٨٦ ذم الشيب
١٨٨ مدح الخضاب	١٨٩ ذم الخضاب	١٩٠ مدح المرض	١٩١ ذم المرض
١٩٣ مدح الموت	١٩٤ ذم الموت	١٩٥ مدح السواد	١٩٧ ذم السواد
١٩٧ مدح الغوغاء والسفهاء	١٩٨ ذم الغوغاء والسفهاء	١٩٩ مدح العمى	٢٠١ ذم العمى
٢٠١ مدح السجن	٢٠٣ ذم السجن	٢٠٣ مدح التعليم	٢٠٤ ذم التعليم
٢٠٥ مدح الرقيب	٢٠٥ ذم الرقيب	٢٠٦ مدح لا	٢٠٧ ذم لا
٢٠٧ مدح اليمين	٢٠٨ ذم اليمين	٢٠٨ مدح شهر رمضان	٢٠٩ ذم شهر رمضان
	١١١ مدح الوعد	٢١٢ ذم الوعد	

تمت فهرست الكتاب وهي مائة واثنان وستون بابًا

هذا كتاب الظرائف واللطائف
في المحاسن والاضداد للعالم العلامه الحبر البحر
الفهامه الشيخ ابو نصر احمد بن عبد الرزاق
المقدسي رحمه الله تعالى
ونفعنا بعلومه
آمين

يا مَنْ تروم معارفاً	لتصير في ذا الدهر عارف
انظر الى السِّفْرِ الذي	يحوي الظرائف واللطايف
فيه المحاسن جُمِّعَتْ	وبها تزيّنت الصحايف

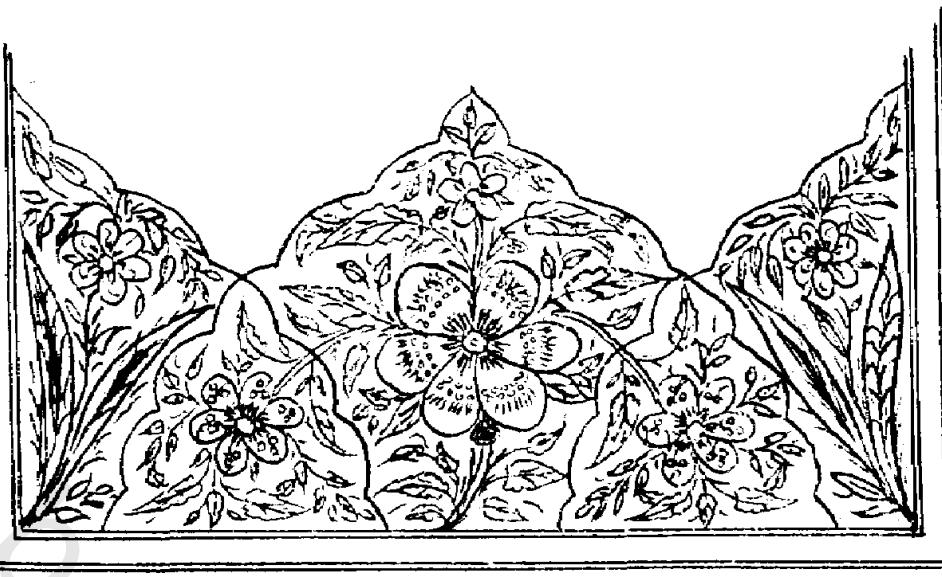

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي اسعد الله
بمرضاته الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح
المرام وصلى الله على سيد الانام محمد وآله واصحابه الطيبين الكرام
وبعد هذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناسختي
الوضع سمى الشيخ ابو منصور الثعالبي رحمه الله احدهما كتاب
الظرائف واللطائف والآخر كتاب المواقيت في بعض المواقيت
وافرد لكل منهما صدرا اورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما
في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصار الطريق الى
فوائدهما وضما لشمل فرائدهما وعسى ان يحمد اثري فيما آثرت
ويستظرف راي رأيت فيه واشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد
ارصنه ومن العمل احصنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله
حمدا حمدا لخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصداع
بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق وشكرا شكرا

لبحر المجد وبدر الارض مولانا الامير السيد الملك المؤيد العادل
العالم ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه مولى امير المؤمنين
ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل
واطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان وفرش مهاد
الامن والامان ونشر شعاع اليمن على اهل الايمان واقام قناة
الدين ومدّ رواق الملك المتين دقّاق من في الارض بمكارم الاخلاق
وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبًا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت واللبث لو لم يصد والبحر لو عذبا
نعم وجد درس رسوم العلم بعد ان نسجت عليها العنكبوت واحيى
انواع الآداب وقد كادت ان تموت فهو يحبها حبّ المحسن
لمن احسن اليه والغارس غرس يديه ويتوفّر على استجلاب
ما بعد من درّرها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص
عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير
الماء للماء ذلك لامتزاج الادب بطبعه كامتزاج الشرف
بنبعه والتحام الفضل بخلقه كالتحام الكرم بخلقه وكونه
من السؤدد في سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه
من كلّ طرف عاين وقلب خاين وادام الله جمال العالم بطول
عمره وثبات ملكه ونفاذ امره وانتظام سلكه ولا اخلاه
من علوّ الراية وادراك الغاية واعزاز الاولياء واذلال الاعداء
ولقاه النجح بين مطارح آرائه ومصارف اقلامه والصنع
في مضارب سيوفه ومنافذ اعلامه

وهذا دعاء لو سكت كفيته لانى سألت الله فيك وقد فعل
ثم ان هذا الكتاب دلنى على ما استسعدت به من الخدمه
واستشعرته من شكر النعمه على ابتداء وضعه وابتداع جمعه
واختراع ما لم اسبق الى مثله ولم اشارك فى ارتباط شكله فالفته
بالاسم العالى بمنة الله فى مدح كل شئ وذمه وتزيينه وتهجينه
وسياقة احسن ما احاضر به فيه وفى ضده وترجمته
بالطرايف واللطايف والاضداد وافتتح البوافيت فى
بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما امكن
الحمد الى ان ينقطع العد وصلواته على خير من ارسل بجد
ما انزل محمد المصطفى وآله واصحابه الذين ارتضى هذا
اطال الله بقاء الامير الاجل كتاب مترجم بالبوافيت فى بعض
المواقيت فى مدح كل شئ وذمه ولم اسبق الى جمعه وابتداع
وضعه وشاهدى على دعواى ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام
عمره ونظام امره وهى امّ الفقر والغرر ومعدن الملح والطرف
وقانون التحف والنكت خالية من مثله فى فنه وان العبد ابا نصر
سهل بن المرزبان وهو حليف الكتب واليها وابن بجدتها
واخو حملتها وابو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطالما اقترح على
الزمان ان يتفق لاحد تاليفه ويتقدم له بتبويبه وترتيبه فاخرته
بنيسابور وتطرفته بجرجان وتنصرفته بالرحابة واستنمته
بغزنة اذ كان مدخورا لعالى مجلسه ومقصورا على خزانة مجده
ولم يعن عليه الا علو همته ويمن دولته واذ كان مولانا او حد السادات

وهو

وهم آحاد الدّنيا وفرد الملوك وهم افراد العليا فينبغي ان يكون الكتاب الذي يخدم به من وسائط عقود الادب وانا سي عيون الكتب ولئن احياني الله تعالى على يده ورزقني المثول بحضرة عزّه وكعبة سؤدده لانفقن باقي عمري على خدمته واغرب وابدع تاليفا باسمه وسمّته لازال مولانا للمحاسن كالينبوع للماء والزّند للنار وادام الله ملكه واعزّ نصره وزاد علوّ امره واراه من اشباله واهليته ليوثا وبدورا يستقلّون باعباء المملكة ويصلون جناحه في حماية الحوزة ويرحم الله عبدًا قال آمينا وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستّين بابًا والله الموفق للصواب الى استواء الاسباب

الباب الاوّل في مدح الدّنيا

في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله وصحبه الدّنيا حلوة خضرة فمن اخذها بحقها بورك له فيها وذكر امير المؤمنين علي رضي الله عنه الدنيا فقال هي دار صدق لمن صدّقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها هي مسجد احبّاء الله ومهبط وحيه ومصلّى ملائكة ومتجر اوليائه اكتسبوا فيها الرحمة واربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها وشوّقت بسرورها الفاني الى السّرور الباقي وحذّرت ببلائها الماضي البلاء الغابر التالي ترغيبًا وترهيبًا فيا ايّها الذّام المغترّ بتغريرها المخدع لاباطيلها حتى غرّتك عزّتك بمصارع ابائك للبلى ام بمضاجع

امّهاتِك تحتَ الثرى فهذا احسنُ ماروى فى مدحها وقال
ابنُ المعتزّ فى رسالة له الدّنيا دارُ التأديب والتعريف
ومضمارُ التهذيب والتثقيف التى بمكروهها يوصَل الى محبوب
الآخرة وميدانُ الاعمال السّابقة باصحابها الى الجنان ودرجة
الفوز التى يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان
وهى الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل
ورباط العمل وقاصمة الجبّارين وملحقة الرّغم بعاطس المتكبّرين
وكاسية التراب ابدان المختالين وصارعة المغترّين ومصرعة
المغترّين ومفرقة اموال الباخلين وقاتلة القتّالين والعادلة
بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد العابدين
وامّ النبيّين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات
فيها مضاعفه والسّيّئات بالاهها محوّه ومع عسرها يسران
والله تعالى ضمن ارزاق اهلها واقسم فى كتابه بمافيها وربّ
طيبة من نعيمها قد حمد الله عليها فتلقتها ايدى الكتبة ووجبت
لها الجنّة وربّ مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا
على الصّراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد
راضت الفهم ونبهت الفطنة واذكت القريحة وافادت فضيلة
الصّبر وكثّرت ذخائر الاجر وقيل لعلىّ رضى الله عنه
يا امير المؤمنين الا ترى حرص الناس على الدّنيا فقال لهم ابناؤها
فأخذ هذا المعنى محمد بن وهيب الحميرىّ وقال

نزاع لذكر الموت ساعة ذكره ونغترض الدّنيا فنلهو ونلعب

وقد ضمت الدنيا الى صروفها وخاطبني اعجابها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها وما كنت منه فهو شئ مجنب

وقال ابو العتاهية

ما احسن الدنيا واقبالها اذا اطاع الله من نالها
من لم يواسي الناس من فضلها عرض للادبار اقبالها

وقال محمود الوراق

هي الدنيا وزخرفها ولكن ما مصايرها
لئن غرت منابرها فقد وعظت معابرها
وان غشت مواردها فقد نصحت مصادرها

قال وانشدني ابو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي لبعضهم

تذمر دنيا ان تاملتها وجدت منها ثمن الجنه

وقال عبد الملك بن صالح ما جمشت الدنيا باظرف من النبيذ فنظمه ابو محمد بن مطران المشاشي

الا ان دنياك معشوقة يفاديها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جمشت من الملهيات بمثل النبيذ

وقلت في كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

الباب الثاني في ذم الدنيا

قال بعض الحكماء الدنيا غدارة غرارة ان بقيت لها لم تبق لك وقال آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران
وقال آخر افٍ من اشغال الدنيا اذا اقبلت ومن حسراتها

اذا ادبرت وقال آخر ان الدنيا ليست تعطيك لتسرك ولكن لتغمك وتغرك وقال آخر الدنيا اشبه شئ بظل الغمام وحلم النيام وقال الحسن حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يحيى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق الا في عسكر الموتى نادما خاسرا وقال ايضا الدنيا جارية زانية ولو كانت عفيفة لم يقربها احد وقال عبادة الدنيا قحبة فيوما عند عطار ويوما عند بيطار وقال ابن السماك الدنيا كالعروس المجلوة تسر الخطاب بها وتفتن بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والابدان لها عاشقة وهي لازواجها قاتلة وقال ابن المعتز اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام وقال آخر خير الدنيا احقر وشرها اندم وقال آخر مصائب الدنيا اكثر من نبات الارض وقال المأمون لو نطقت الدنيا ما وصفت نفسها باحسن من قول ابي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وقد لخص ابن بسام بقوله

اف للدنيا وايامها ... فانها للحزن مخلوقه
غمومها لا تنقضي ساعة ... عن ملك فيها ولا سوقه
يا عجبا منها ومن شأنها ... عدوة للناس معشوقه

ومن الامثال السائرة فيها قول مسلم بن الوليد الانصاري

دلّت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان اعطاني

وقول ابن الرومي

لما توذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه فيها وانها لافسح مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهل كانه بما سوف يلقى من اذاها يهدد

وقال المتنبي

ابدا تنترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا ادري اهي انثنت عن الناس امر لا

وقال آخر

ان لدنيانا الدنيه خبثت فعلا ونيه
عيشها بدؤه هم وعقباه المنيه

وقلت من قصيدة

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تنكحن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارا ه ذعاف ومركب شهي اذا استلذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قباح

وقال آخر

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي

وقلتُ فى الكتاب المبهج نسيم الدّنيا يقصر عن سَمُومها واغذيتها لا تفى بسمومها وفيه ساكن الدّنيا راحل وانفاسه رواحل وايامه مراحل وفيه الدّنيا عروس تغتال الاخدان وتختان الأُختان وفيه امر الدنيا امر وتحت بشرها غمر وفيه اقبال الدنيا كالمامة ضيف اوسحابة صيف اوزيارة طيف وفيه هِبات الدّنيا منغّصة باحداثها وقصورها منغصة باجداثها وفيه صاحبُ الدنيا بين العسل والصّاب والصّحة والاوصاب وفيه المرء من دنياه بين امانى ممدوده وعوارى مردوده

اى تهلك

الباب الثالث فى مدح الدهر

قال بعض الحكماء الدّهر انصحُ المؤدّبين وقال آخر قد وعظنا الدّهر لو اتعظنا ونصحنا لو انتصحنا

وقال الشاعر

عمرى لقد نصح الزمان وصرفه ومن العجائب ناصحٌ لا يشفق

وقال العتابى من لم يؤدّبه والداه ادّبه اللّيل والنهار

وقال بشار

ان دهرًا يضمّ شملى بسلمى لزمان قد همّ بالاحسانِ

وقال البحترى

هل الدّهر الا غمرة وانجلاؤها وشيكًا والا ضيقة وانفراجها

وقال

وقال الاخطل

وان امير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال آخر

يقولون الزمان به فساد ... لقد فسدوا وما فسد الزمان

وانشدني العباسي المأموني لبعضهم

تذمر دهرك جهلا في تصرفه ... لا تشك دهرك ان الدهر مأمور

ما ذنب دهرك والاقدار غالبة ... وكل امر اذا وافاك مقدور

فاصبر على حدثان الدهر وارض به ... ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وانشدني ابو القاسم حبيب المذكر لغيره

رضي بالدهر كيف جرى وصبرا ... ففي ايامه جمع وعيد

ولم يخشن عليك قضيب عود ... من الايام الا لان عود

ولابي الفتح بن العميد

اين لي من يفي بشكر الليالي ... حين ضافت خيالها بخيالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح ... غيرها منيه فجاد بها لي

ولوزير المهلبي

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي

وانالني ما ارتجي ... وافاتني ما اتقي

فلاصفحن عما جناه ... من الذنوب السبق

حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقي

الباب الرابع في ذم الدهر

قال بعض الحكماء ان للدهر ما اكدر صفا فيه
واخيب راجيه واعدى ايامه وليا ليه وقال آخر
من له يدان بغوائل الزمان وقيل ليسار الدهر في الاخذ
اسرع من يمينه في البذل لا يعطي بهذه الا ارتجع بتلك
وقال آخر الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع
ثديه ويجرح يده وقيل الدهر يغر ويمر ويسوء من حيث
يسر وقال آخر الدهر لا تهنئ فيه المواهب حتى تخللها
المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها النوائب
وفي فصل ابن المعتز هذا زمان متلون الاخلاق
متداعي البنيان موقظ الشر مميت الخير مطلق اعنة
الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة
من البهجة والقطوب من البشر مر الثمرة بعيد المجتنى
قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته
لا ينطق الا بالشكوى ولا يبكي الا على غصص وبلوى
ومثله فصل للصاحب الزمان حديد الظفر
لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر اثره عند المرء كاثر
السيف في الضريبة والليث في الغريبة ولشمس المعالي
قابوس بن وشمكير الدهر شر كله مفصله ومجمله ان
اضحك ساعة ابكى سنه وان اتى ببينة جعلها سنه
ومن اراد منه غير هذا سيره اراد من الاعمى عينا بصيره
ومن ابتغى منه الرعاية ابتغى من الغول الهداية

ومن احسن ما قيل في ذمه قول ابن المعتز وهو الامام في ذلك

ألست ترى يا صاح ما اعجب الدهرا ... فذمًّا له لكن للخالق الشكرا
لقد حبب الموت لبقاء الذاري ... فيا حسدًا مني لمن يسكن القبرا

ولـه

يا دهر ويحك قد اكثرت فجعاتي ... شغلت ايا مر دهري بالمصيبات
ملأت لحاظ عيني كلها حزنًا ... فاين لهوي واحبابي ولذاتي
حمدًا لربي وذمًّا للزمان فما ... اقل في هذه الدنيا مسرّاتي

ولـه

يا صاحبي ان الزمـا ... ن كما علمت وما علمته
يفني الذي جمّعته ... بيدٍ ويحصد ما زرعته
ويخون من صافيته ... عمدًا ويعشق من مقته
وجهلته فحمدته ... وذممته لمّا عرفته
ولطالما عاتبته ... حتى على رغم تركته

وقال عبد الله بن طاهر

لم ترَ ان الدهر يهدم ما بنى ... ويأخذ ما اعطى ويفسد ما اسدّ
فمن سرّه ان لا يرى ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئًا يخاف له فقدا

وقال بعضهم

لم ترَ ان الدهر يوم وليلة ... يكر ان من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد الدهر لا بدّ من بلى ... وقل لاجتماع الشمل لا بدّ من شتّ

وقال البستيّ

صبرًا على الدهر الخؤون وريبه ... يا نفس كيلا تبتلى بكلاله

لبعضهم
كم ذا اغمض عيني ثم افتحها
والدهر ما زال والدنيا
فليت شعري ما بقي
ما بين غمضة عين
لد

واذا صبرت على اساءة ظالم لاتندمى فثوابه بك لاحبه

ومن قلائد ابن الرومى فى هذا المعنى

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

وانشدنى ابو بكر الطبرى

الدهر يستخدم من يخدم حتى يذيق الهون من يكرم
كالارض لاتطعم من فوقها الا لكى تطعم من تطعم

ولغيره

يا محنة الدهر كفى ان لم تكفى فنى
ما ان يكن ترحيبنا من طول هذا التنفى
ذهبت اطلب بختى فقيل لى قد توفى
ثور ينال الثريا وعالم متحفى

ولابى محمد المروزى

تقاضاك دهرك ما اسلفا وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان جدير بتشتيت ما الفا

ولابى جعفر الموسوى

اى خير ترجو بنى الدهر فى الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا ومن مات فالمصيبة فيه

وقلت

اقول والقلب مكدود باحزان والصبر بعد مما بين اجفانى
حتى متى انا يدمى العض انملتى غيظا على زمن قد رام ايمانى

فكل

فكلّ يوم ارانى من نوائبه كأنّنى اصبغى والدّهر اسنانى

وقلت ايضًا

كم الى كم تبرّمى بحياتى اتلوّى تلوى الحيّات
تحت عبئ من الزمان ثقيل وخطوب قوّسن منّى قناتى

ولابن لنكك البصرى

يا زمانًا البسنى الـ ـاحرار ذلًا ومهانه
لست عندى بزمـ ـانٍ انّما انت زمانه
كيف ارجو منك خيـ ـرًا والعلى فيك مهانه
اجنون ما اراهُ منك يبدو ام مجانه

ولقابوس بن وشمكير

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدّهر الّا من له خطر
ما فى السّماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف الّا الشمس والقمر
ما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدّرر

وقال آخر

يا دهر ويحك ماذا الغلط وضيع علا وشريف هبط
تمارين تع فى روضة وطرف بلا علف يرتبط

الباب الخامس فى مدح السلطان

قد قرن الله تعالى طاعته وطاعة النبىّ بطاعة السلطان حيث قال جلّ ذكره اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولوا الامر منكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم السلطان

وقائلة لم عتاب الهمو
وامرك ممتثل فى
فقلت ذرى على حا
فان الهموم بعقد

ظل الله فى ارضه يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وقال امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن وقال الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان قيل ولم تقدمه على نفسك قال ان دعوتى لنفسى لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لابد للانام من وزعه وقيل للحسن ما تقول فى السلطان فقال ما عسيت ان اقول فى قوم يلون من امورنا خمسة الجمعة والجماعة والثغور والحدود والفئ والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا وما يصلح الله بهم اكثر مما يفسد وقال الجاحظ لولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا الراعى لاتت السباع على الماشية ومن الامثال جار ملكا او بحرا وفى فصول ابن المقفع فساد الرعية بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفى بعض كتب العجم ان الملك العادل كالشمس فى الشتاء والقمر فى الخريف والرخاء فى جميع الازمنة وهو فى الاصحاب كالرأس فى الجسد وفى الاولياء كماء الغسل وفى الحرب كالحريق المشتعل وقيل مثل الاسلام والسلطان والاعوان والرعية كالفسطاط والعمود والاطناب

الارض

والاوتاد

والاوتاد لايقوم بعض ذلك الا ببعض وقالت
ابن المقفع الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى
وذكر ابن المقفع فى يتيمته السلطان وما للناس
فيه من كثرة المنافع وكثرة المضار كالشمس فى النهار فاحسن
كل الاحسان وشبه ما يصل الى اكثر الناس من عدله وفضله
مع ما يمس بعضهم من الظلم بالغيث الذى يغيث البلاد
وينعش العباد ويعم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون
فيه الصواعق والرياح التى هى روح الزفوس ولقاح الثمار
وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد تضر بكثير من
الناس وتتعدى الى اموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف
الذى بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات
وقد يكون الضر والاذى فى البرد اذا الذع والحر اذا اسفع
وبالليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام
الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة
والمسافر فى القفر وبالنهار الذى جعله الله ضياء ونشورا
ومعاشا وقد تصبح فيه الغارات والوقائع ويكون فى
ظهائره النصب واللغوب وليس ما يصل الى الآحاد والشواذ
من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد
وكذلك المصانع اذا اتفقت بان تتضمن
نفعا للقليل من الناس مع اجحافها بالكثير
لم تزل عن طريق الذم ٥

الباب السادس في ذم السلطان

قال بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ اخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم اى لا ارحام بين الملوك وبين احد فيها ما من ملك الا استأثر وقال المأمون انّ فينا معشر الملوك حسدًا واستئثارًا ومحكًا ولجاجًا وكان ابو علي الصفاني يقول من والانا اخذنا ماله ومن عادانا اخذنا رأسه وفي كتاب كليلة ودمنة من سكر السلطان انه يرضى عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضى من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من ولج في البحر واشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل اسرع الاشياء تقلبًا قلوب الملوك ويقال اذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان وقيل سكر السلطان اشدّ من سكر الخمر ويقال اعتزل السلطان بجهدك فانّ من خدمه بحقه وشرطه يحال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوفّ خدمته حقها خسر الدنيا والآخرة وقال الفضل ابن مروان يقول ما رايت اقرب رضًى من سخط ولا اسرع ما بين قرب رضًى وسخط من الملوك ويقال ثلاثة لا امان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة

بن اليمان يقول اياكم ومواقف الفتن يعنى ابواب السلاطين
وقيل لـ ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما اصنع باتيانك
وانك ان ادنيتنى فتنتنى وان ابعدتنى حزنتنى ويقال
ثلاثة لاينبغى للعاقل ان يغتر بهن المال والصحة والمنزلة
من السلطان وقال البديع ان الملوك ان خدمتهم
ملوك وان لم تخدمهم اذلوك وكان الضحاك بن مزاحم
يقول انى لاسهر عامة ليلى مفكرا انمس كلمة ارضى بها
سلطانى ولا اسخط ربى ولا اجدها

الباب السابع فى مدح عمل السلطان

كان معاوية رضى الله عنه يقول نحن الزمان من رفعنا
ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء
على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه
الصديق ابن اسرائيل ابن الذبيح ابن الخليل عليهم السلام
حيث قال للملك بمصر اجعلنى على خزائن الارض انى
حفيظ عليم وفى كتاب كليلة ودمنة مثل
السلطان فى اقباله على الاقرب فالاقرب منه دون
الافضل فالافضل مثل الكرم الذى لايتعلق بابعد الشجر
بل باقربها منه ومن امثال هذا الباب قول زياد فى رجل
ولى تحصيب جامع البصرة آثرا لاماره ولو على الحجاره
ومن امثال العجم من تبع الاسود لم يحرم لذيذ الصيد

بعضهم
اذا صحبت الملوك فاستس
من المزايا اعز ما يلتمس
وادخل اذا ما دخلت ا
واخرج اذا ما خرجت

ومن امثال بغداد غبار العمل خير من زعفران التعطيل
وكان بونس النحوي يقول الولاية وكل مدح والعزل
وكل ذم والتشيب وكل عيب ويقال لاربعة لايستحيا
من خدمتهم السلطان والولد والضيف والداء وكان
احمد بن اسرائيل يقول اربعة لايقيمها الا عمل السلطان
انتهال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع
بالسراري الثمينة ويقال من خدم السلطان
فهو خادم من جهة وملك من اخرى ومن خدم الرعية
وهو خادم من كل جهة ويقال من خدم السلطان
خدمه الاخوان والجيران وقيل اربعة لايستقل
قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

الباب الثامن في ذم عمل السلطان

من امثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد
يهابه الناس وهو من ركبه اهيب وقيل من تحسى
مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل
من اكل من مال السلطان زبيبة اذاها تمرة وفي كتاب
كليلة ودمنة مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى
الذي فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع خطوم فالارتقاء
اليه شديد والمقام فيه اشد وكان ابراهيم بن العباس
يقول اصحاب السلطان كقوم ركبوا جبلا ثم وقعوا منه

فكان اقربهم الى الردا ابعدهم فى المرقى ويقال
ادوم التعب خدمة السلطان وقيل من اراد العز
بالسلطان لم ينله حتى يذل ومن فضول ابن المعتز
اشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الاشياء
الى النار اشدّ احتراقا وقال ايضاً من شارك
السلطان فى عزّ الدنيا شاركه فى ذلّ الآخرة ويقال
لا تتشبث بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه
فانّ البحر لا يكاد يسلم منه راكبه فى حال سكونه فكيف
عند اختلاف رياحه واضطراب امواجه وقيل
لا يدرك الغنى بالسلطان الا كلّ نفس خائفة وجسم
تعب ودين منثلم وقد نظمه ابو الفتح البستى فقال

يا من يرى خدمة السلطان عدّته * ما ارش كدّك الا الكدّ والندم
دع الملوك فخير من وجودك بها * نرجوه عندهم الحرمان والعدم
انى ارى صحب السلطان فى ظلم * ما مثلهم اذا قاسى الفتى ظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه عرضة والدين منثلم

وله ايضاً

صاحب السلطان لا بدّ له * من غموم تعترية وغمم
والذى يركب بحراً سيرى * فحم الاهوال من بعد فحم

وللصاحب فى معناه

اذا ادناك سلطان فزده * من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر ظلما * وقرب البحر محذور العواقب

ويقال الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال بعض الزهاد تباعد من السلطان ولا تأمن خدع الشيطان ويقال العزل طلاق الرجال

وقال ابن المعتز

سكر الولاية طيب وخمارة ذل شديد
كم تائه بولاية وبعزله ركض البريد

وكان ابن ابي البغل يقول لا تعدن مال المتصرف مالاً فانه يغدو غنياً ويروح فقيراً وفي فضل للصابي تهنئة بالعزل ليهن مولاى خفة الظهر ودعة الصدر بالتقصي عن العمل الذى هو مع هذه العواقب الوخيمه والرسوم الذميمه بمنزلة الجنائل المبثوثة والاشراك المنصوبه

الباب التاسع في مدح الوزارة

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهي تلو الامارة والدرجة العليا والرتبة الكبرى في الرياسة والسيادة ولمنصور النميري في يحيى بن خالد البرمكي

ولو علمت فوق الوزارة رتبة تنال بمجد في الحياة لنالها

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف العظماء والملوك وقد نطق القرآن بوزارة هارون لموسى عليهما الصلاة والسلام حيث قال جل وعز حكاية عن دعاء موسى واجعل لي وزيراً من اهلي

بعضهم
ان الولاية لا تدوم لواحد
ان كنت تنكر فابن لاول
فاغرس من الفعل الجميل فانما
فاذا اعز فانها لا تزول

هارون

هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى ثم قال
فى نظام الآية قد اوتيت سؤلك يا موسى فدل على انه
جعله وزيره وصاحب امره وشريكه وافصح عن حسن
اثر موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها وكان
آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وكان
محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لى وزيران من اهل
الارض ووزيران من اهل السماء فاما اللذان فى الارض
فابو بكر وعمر واما اللذان فى السماء فجبريل وميكائيل
عليهما السلام وقال عليه السلام اذا اراد الله
بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى
خيرا اعانه اوارادشرا كفه وقيل لاتغتر بكرامة
الامير اذا غشك الوزير والى هذا اشار ابن العميد
وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية وكان مختصا
بامير ركن الدولة

وزعمت انك لست تفكر بعدها ... علقت يداك بذمة الامراء
فيها لمرتصدق فكرتك التى ... قد اوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن احد سماء لم تجد ... ارضا ولا ارضا بغير سماء

والذى يحكم بشرف الوزراء ومكانتهم ومشاركتهم للملوك
فى الامور وتصريف اعنة التدابير ما فى المزدوجة المعروفة
بذوات الحلل قصيدة ابن المعتز

اذا طلبت نائل الامير ... فالطف له من قبل الوزير

وكان انوشروان يقول لا يستغنى اعلم السلاطين
عن الوزير ولا اجود السيوف عن الصقال ولا افره
الدواب عن الصوت ولا اعقل النساء عن الزوج
وما احسن قول ابى تمام لمحمد بن عبد العظيم
وزير المعتصم والواثق بعده

اباجعفر ان الخليفة ان يكن لوارد نا بحرًا فانك ساحله
تقطعت الاسباب ان لم يغزلها قوى او يصلها من يمينك واصل

اغار الجهل اذا احكم فتله ٥

وقال آخر

لامير المؤمنين المرتجى بحر جود ليس يعدوه احد
وابو النجم لمن يقصده مشرع منه الى البحر يرد

وكان الصاحب يقول مدحت بمائة الف بيت
ليس احب الى من قول ابى سعيد الرستمى حيث قال

ورث الوزارة كابرًا عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا رته واسمعيل عن عباد

الباب العاشر فى ذم الوزارة

كان احمد بن اسرائيل يذم الوزارة ويستكثر منه
فلما خطبها وتقلدها قيل له الم تكن تذمها قال بلى ولكنها
مركب بهى شريف شهى لا تطيب النفوس بتركه على
ما فيه من عظيم الخطر وقال المأمون لاحمد بن خالد
هل لك فى ان استوزرك قال دعنى يا امير المؤمنين

يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها
العدو فلست اريد بلوغ الغاية لئلا يقول عدوي قد بلغها
وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

الى الهلك ٥

ان الوزير وزير آل محمد ... اودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان ابراهيم بن المدبر اذا مرضت عليه الوزارة اشد قول العنابي

تلوم على ترك الغنى باهلية ... نعى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حولها النسوار فلن كالدمى ... مقلدة اعناقها بالقلائد
فقلت لها لما رأيت دموعها ... تحدرن فوق الخد مثل الفرائد
اسرك اني نلت ما نال جعفر ... من المال او ما نال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اعضني ... معضهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجيني ميتتي مطمئنة ... ولم اجشم هول تلك الموارد

الى الحيات ٥

فان عليات الامور مشوبة ... بمستودعات في بطون الاساود

وقال بعض الحكماء اكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان في كتاب مروان اخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء وقيل مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه التماسيح لا يستطيع الانسان ورود وان كان عائما والى الماء حائما وللبستي في معناه

الحائم العطشان ٥

حرضوني على وزارة بست ... ورأوها من اعظم الدرجات
قلت لا اشتهي وزارة بست ... انني لم املها بعد حياتي

وله

اكتاب بنت كم تفاخركم على ... وزارة بنت وهى قاصمة الظهر
وزارة بنت كالهباء اذا سرى ... ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فلا تخطبنها انها ضرة النهى ... وبغيتها روح البعولة فى المهر

ونـه

وزارة الحضرة الكبيره ... خطيئة بل هى الكبيره
فلا تزرها ولا تزرها ... فانها محنة مبيره

الباب الحادى عشر فى مدح العقل

قال الله تعالى فى شأن تعظيم العقل ان فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا اولى الالباب وقال عز اسمه ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب وقال النبى صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون اجورهم يوم القيمة على قدر عقولهم وقيل له عليه السلام فى الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال ما من آدمى الا وله خطأ وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما اخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل واشهدوا ذوى عدل منكم يعنى ذوى عقل وقال مجاهد فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل وقال الضحاك فى قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا اى عاقلا

وقال الحسن العقل هو الذي يهدي الى الجنة ويحمي عن النار لقوله عز وجل حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال حكيم لا مال اعوذ من العقل وقيل العقل اشرف الاحساب وما عبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل احصن وعقل وقال آخر اشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا ومن فضول ابن المعتز العقل غريزة تزينها التجارب ومنها حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن ومنها ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل ومنها ما ابين وجوه الخير والشر في مرآة العقل ان لم يصدها الهوى ومنها العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل ارضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

وفي كتاب رهن العيون في الجد والمجون في مدح العقل قال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب ثم قال لو ان رجلا قاتل في سبيل الله وحج واعتمر وغزى لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال امير المؤمنين

علي رضي الله عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهمّ الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من انعظ بابلغ العظات نظر الى محلّة الاموات ومصارع الآباء والامّهات وقلّت فكرته في الشهوات

الباب الثاني عشر في ذمّ العقل

كان يقال العقل والهمّ لا يفترقان وقال ابن المعتز وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يحزن بما ستره الله من عيوبه بل يفرح بما اظهره الله من محاسنه وفصل له يليق بهذا الباب في نهاية الحسن العقل كالمرآة المجلوّة يرى صاحبه فيها مساوي نفسه فلا يزال في صحوه مهموما متعذر السرور فاذا شرب صدئ عقله بمقدار ما يشرب فان اكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوي فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة المصدئة ابدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا ابدا انشطا قبل الشرب وبعده ومن قلائد المتنبي قوله

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

قال ابو الفتح بن جني هذا كقولهم ما سرّ عاقل قط ولمّا عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه له قال له زياد يا امير المؤمنين امن عجز او خيانة فقال لا من احدهما

ولكنّى كرهت انْ احمل على النّاس فضْل عقلك وكان
الحسَنُ البصرىّ رحمه الله يقول لوكانَ للنّاسِ كلّهمْ عقول
لخربت الدّنيا وقالَ آخر لولا الحمقى لبطل العالم
وقالَ بعضهم لوكانَ النّاسُ كلهمْ عقلاء ماأكلنا طبخاً
ولاشربنا عذبا يعنى انّ العقلاء لايقدمون على صُعُودِ
النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء
البارد العذب وينشد

ولمّا رايتُ الدّهرَ دهرَ الجاهِلِ ولرارَ المجنونَ غيرَ العاقلِ
شربتُ خمرًا منْ خمورِ بابلِ فصرتُ منْ عقلى على مراحِلِ

الباب الثالث عشر فى مدح العلوم

قدمدح ابوعثمان الجاحظ انواع العلوم وذمّها باعيانها
معْرِبًا عنْ قدرته على الكلام وبُعدِ شأوه فى البلاغة وحين
سُئل عن الاثر فقال هوَ اخبار الماضين وانباء الغابرين
وقصص المرسلين وآداب الدّنيا والدّين ومعرفة الفرض
والنّافله والشريعة والسّنّه والمصْلحة والمفسده والنار
والجنّه الى صاحبهما تشدّ الرّحال وحوله يعتكف الرجال
ويسير به ذكره فى البلدان ويبْقى اسمه على محرّ الزمان قيل
فالفقه قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام
وتقام الحدود والاحكام وهو عصْمة فى الدّنيا وزينة فى
الآخره يخطبُ لصاحبه فضْل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال

ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا قيل فالكلام قال
عيار كل صناعه وزمام كل عباره وقسطاس يعرف به الفضل
والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان وكير يميز به
الخاص والعام والخالص والمشوب ويعرف به الابريز والستوق
وينظر به الصفو والكدر وسلم يرتقى به الى معرفة الصغير
والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وادلة للتفصيل والتحصيل
وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه واداة
لكشف الخفى الملتبس وبه تعرف ربوبية الرب وحجة الرسل
ويعترز به من شبهات المقالات وفساد التأويلات وبه
تدفع ضلالات الاهواء والنحل وتبطل تأويلات الاديان والملل
وينزه عن غباوة التقليد وغمة التردد قيل فالفلسفة
قال اداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وادلة لمعرفة
الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الاشخاص
والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز
قيل فالنجوم قال معرفة الاهلة ومقادير الاظلة وسموت
البلدان واقدام الزوال فى كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل
والنهار فى الزيادة والنقصان وامارات الغيوث والامطار
واوقات سلامة الزرع والثمار قيل فالطب قال سائس
الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحه
ورمة العله والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا
الاسرار وعلم يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس

والانعام

والانعام ولايستغنى عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه
الحقير والخطير قيل فالنحو قال يبسط من العيّ اللسان
ويجرى من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول
وهو آلة لصواب المنطق وتسديد كلام العرب قيل فالحساب
قال علم طبيعيّ لاخلاف عليه واضطراريّ لامطعن فيه ثابت
الدّلاله صائب المقاله واضح البرهان شديد البنيان سالم
من المناقضه خال من المعارضه حاكم يقطع الخلاف مؤدّ الى
الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال
وقوام امور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار
قيل فالعروض قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع
وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وفلك عليه مدار
القريض قيل فالتعبير قال علم نبوىّ وسفير الهىّ واشارة
سماويّه وعبارة غيبيّه وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبة
والحاضره وينبئ عن امور الدّنيا والآخره قيل فالخط قال
لسان اليد ولهجة الضمير ووحى الفكر وناقل الخبر وحافظ
الاثر وعمدة الدّين والدّنيا ولقاح اللفظ والمعنى قال
مؤلّف الكتاب فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ فى مدح العلوم
وهذا ما احضرته فى مدح العلم والعلماء عن النبى صلّى الله عليه وسلّم
العلماء ورثة الانبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم
يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والملوك حكّام الناس والعلماء حكّام الملوك وقال

بعض العلماء ليس شئ اعز من العلم وقال بعض العلماء
انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن
لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال
صلوات الله عليه لا خير فيمن لا يكون عالما او متعلما ومن
فضائل العلوم ان شهادة اهلها مقرونة بشهادة الله تعالى
جده وملائكته في قوله عز اسمه شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا
انه يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ويقال
العلماء في الارض كالنجوم في السماء لولا العلم لكان الناس
كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب
ومصباح الابصار وقال ابن المعتز في فضوله
علم الرجل ولد المخلد وقال ايضا الجاهل صغير
وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال
ايضا ما مات من احيا علما وقلت في الكتاب المبهج
العلم اشرف ما وعيت والخير افضل ما اوعيت وفيه
العلماء اعلام الاسلام وايمان الايمان وقال الشاعر
العلم خير اداة انت جامعها تلقى الرجال به في الحفل ان حفلوا
وآفة العلم ان ينسى وافضله دوام شخص مذاكرة كما نقلوا
وقال ايضا

اذا العلم لم تعمل به صار حجة عليك ولم تعذر بما انت جاهله

وللامام الشافعي رضي الله عنه

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما وتقتله حزنا وتحرقه هما

فسام العلا وازدد من العلم انه من ازداد علما زاد حاسده غما

ويقال لجالس السواعين قوموا يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سلمان علم لا يقال كنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذي لا تعلم فقلت لا أعلم

الباب الرابع عشر في ذم العلوم

سئل الجاحظ عن العلوم فاجاب بخلاف ما تقدم ونقض ما هناك ابرم سئل عن الكلام فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همه مناظر متملق وآله مهذار متسوق قيل فالفقه قال يعتقد بالاراء ويتقلد بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابير الحيرى في التدابير قيل فالحديث قال همة ضعيف وآلة مسن قيل فالفلسفة قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة قيل فالنجوم قال احكام وترجيم وخسف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة مجدود وصناعة غير محدود قيل فالطب

قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل
منه الى الحقيقه ولا يحكم فيه بالوثيقه قيل فالنحو قال
علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع
والانتفاع علم معدم وصناعة معلم قيل فالعروض قال
علم مولد وادب مستبرد يستكل العقول ويستولد الفضول
مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول قيل
فالحساب قال مستعجم عسر ومستوخم كدر بعيد الادراك
شديد الاشتباه والاشتباك قيل فالتعبير قال ظن
وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد
ولا بيان علم مضعوف وصناعة مكفوف قيل فالخط
قال قليل الرد يسير الرفد صناعة موزق وبضاعة مرزق
فهذا ما نقل عن الجاحظ في مدح العلوم وذمها. وتقول
اهل بغداد في امثالهم جهل يعولني خير من علم اعوله
ومن امثالهم كف بخت خير من كر علم وفي ذلك وما اصنع
بالعلم اذا اعطيت بالجهل وقال ابن ابي البغل

المستعوي يصفو امنا من جهله ... حيث الهزار لانه مترنم
لو كنت اجهل ما علمت اسرني ... جهلي كما قد ساءني ما اعلم

وقال غيره

المال يستر كل عيب في الفتى ... والمال يرفع كل نذل ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها ... وانصرف بكتب العلم عرض الحائط

وكتب الى عمر بن شبه بعض اصدقائه

اجوبة

اجفاء يا ابن شبّه بعد نصح ومحبّه
ولزوم للدّ واوي ن وما يعطوك حبّه
ليس يغنى عنك عند القوم سفيان وشعبه
فالزم الجهل فان الـ جهل عند القوم رتبه
ودع العلم فان الـ علم فى ذا الدّهر سبّه

وقال بعض الشعراء للقاضى ابن خلّاد رحمه الله

قل لابن خلّاد اذا جئته مستندًا فى المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به حدّثنا الاعمش عن نافع

الباب الخامس عشر فى مدح الخطّ والقلم

يقال القلم احد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرّغ ما يجمعه القلب ويصوغ ما يسبكه اللّب وقال ايضا الخطّ هندسة روحانيه وان ظهرت بآلة جسمانيّه وقال افلاطون الخطّ عقال العقل وقال جعفر بن محمّد رضى الله عنهما لمرار باكيًا احسن تبسّما من القلم وقال المأمون لله درّ القلم كيف يحوك وشى المملكة وقال ثمامة ما اثرته الاقلام لا تطمع فى درسه الايّام وقال ابن المعتز القلم مجهّز لجيوش الكلام يخدم الاراده ولا يملّ الاستزاده كانه يفتح باب بستان او يقبّل بساط سلطان وقيل الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها يطرد لجام الكلام

وقد جمع الله فى باب قيم ثمان خصال
ايم جمع القرآن
وايم حفظت الآثار
وايم اكدت العهود
وايم بيضت الدواوين
وايم قيدت الشواهد
وايم عرفت الاخبار
وايم ثبتت الحقوق

ويسهل بجريها النظام ويقال عقول الرجال تحت اسنة اقلامها وعن بعض الفلاسفة انه قال صورة الخط في الابصار سواد وفي البصائر بياض وقال مؤلف الكتاب قدنوه الله باسم الكتابة وعظم شانها اذ اضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة من النوع الذي يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه الى شبهه الا انه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز من قائل وكتبنا له في الالواح الآية وقال تعالى جده وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقال سبحانه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وجعل جل جلاله من ملائكته كتبة سفرة وهم ارفع الخلق درجة وقال عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بأيدي سفرة كرام بررة ومعلوم انه لو لم تكتب اعمال العباد لما كانت محفوظة لا يخللها خلل ولا يتداخلها نسيان ولا زلل لكنه علم عز اسمه ان نسخ الكتاب ابلغ في التحذير واوكد في الانذار واهيب في الصدور واراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة واقسم عز اسمه بالآلة التي تتهيأ بها الكتابة وهي القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما اقسم بالاشياء الجليلة الاقدار الكبيرة الاخطار في نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار

لبعضهم
في الكتابة من سواد وبياض
والربح من ضناعة الكتاب
والربح من قلم تقوم بزينة
من الكواغد ثم الاقلام

والسماء

والسماء والارض وذاكرت فى هذا ابا الفتح البستى فانشدنى لنفسه

اذا افتخر الابطال يوما بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة ... مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

وفى رسالة لمؤلف الكتاب اوردها فى كتاب النظم والنثر

وحل عقد السحر المجلس الرفيع اولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم ما اصم سميع اخرس بليغ ضعيف قوى مهين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير المخبر صغير الجرم عظيم الجرم الى آخره

وقال ابن المعتز

اذا اخذ القرطاس خلت يمينه ... تفتح نورا او ينظم جوهرا

وقال كشاجم

واذا انمنمت بنانك خطا ... مغربا عن ملاحة وسداد
عجب الناس من بياض معان ... تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى

ان هز اقلامه يوما ليعملها ... انساك كل كمى هز عامله
وان اقر على رق انامله ... اقر بالرق كتاب الانام له

والعرب تقول القلم احد اللسانين واليأس احد الراحتين والرد الجميل احد الصديقين والبشر احد القرابتين وحسن الادب احد النسبين والرفق احد اللحمين وقلة العيال احد اليسارين والحاجة احد المسئلتين والقناعة احد الرزقين والسلامة احد الغنيمتين ٥

الباب السادس عشر فى ذم الخط والقلم

وقال ابن المعتز

واجوف مشقوق كان سنانه ... اذا استعجلته الكف منقار لاقط
وتاه به قوم فقلت رويدكم ... فما كاتب بالكف الا كشارط

وقال ابو العلاء المعرّى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض اولاد الامراء الخط صناعه ولاتحسن الصناعة بالملوك

وقال كشاجم

سل بى عن الايام تعرف انّنى ابن دهر ليس ينصف
وبلاغتى معروفة سهل واخطاها التكلف
وسطور خطّ مونق كالروض والبرد المفوّف
والخطّ ليس بنافع مالم يكن خطّ مصحّف

وقال بعض الحكماء ماذا القينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة امّا فى الدنيا فقد بلينا به واخذنا بحفظ فرائضه واقامة شرائطه وامّا فى الآخرة فانّا نلقاه منشورا بسرّنا وخفايا ضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال اخلاق حلوه وشمائل معشوله وثياب معشوله وتظرّف اهل الفهم ووقار اهل العلم فاذا امتلوا بنار الامتحان والاختبار وعرضوا على محكّ الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء او كنبات الربيع فى الصّيف تحركه هيفاء الرياح لايستند الى وثيقه ولايدينون بحقيقه احقر الخلق لاماناتهم واشراهم بالثمن البخس لعهودهم وديانا تهم فويل لهم ممّا كتبت ايديهم وويل لهم ممّا يكسبون وقال الشاعر

واذا اخطأ الكتابة حظّا عدمت تاؤها فصارت كآبه

وقال بعضهم

لاتحسبوا ان حسن الخط ينفعني ولا سماحة كف الحاتم الطائي
وانما انا محتاج لواحدة انقل نقطة حرف الخاء للطاء

وقال آخر

وما الخط الا اللحظ صحف لفظه فان تك ذو حظ فانك ذو خط
فبالخط بين الناس انت مخطأ وبالحظ صوب رأى من شئت او اخطا

ومن ملح ما قيل في ذم الكتبة لابن عروس

تعس الزمان لقد اتى بعجائب ومحى رسوم الظرف والآداب
فاتى بكتاب لو انطلقت يدى فيهم رددتهم الى الكتاب

وقوله ايضا

وكاتب يقرأ القرآن في سند من بعد حين وامّا بعد في حين
لا يعرف الفرق في عمرو ولا عمر جهلا ولا الفرق بين البين والبين

ولبعض اهل العصر

وكاتب كتبه تذكرني الـ ـقرأ حتى اظل في عجب
فالفظ قالوا قلوبنا غلف والخط تبت يدا ابي لهب

وقيل فلان قد صدا فهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره
ويقال خط مجمج ولفظ ملجلج

الباب السابع عشر في مدح الادب

قال الزمخشري ليت شعري اي شئ ادرك من فاته الادب واي شئ فات من ادرك الادب وقال ابن عائشة القرشي اهل الادب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الادب

اين حلوا وقال خالد بن صفوان لابنه يا بنيّ الادب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلّم تجد حيث تحبّ وقيل الادب وسيله الى كل فضيله وذريعه الى كل شريعه وقلت في الكتاب المبهج حلية الادب لاتخفى وحرمته لاتجفى وقال البريدي ليس الفتى كل الفتى الّا الفتى في ادبه وبعض اخلاق الفتى اولى به من نسبه وقال بعض الظاهريّه لو علم الجاهلون ما الادب لايقنوا انه هو الطرب وقال حكيم لابنه يا بنيّ عزّ السلطان يوم لك ويوم عليك وعزّ المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وانقلابه وعزّ الحسب الى خمول ودثور وذبول وعزّ الادب راتب واصيب لايزول بزوال المال ولايتحوّل بتحوّل السلطان ويقال من قعد به حسبه نهض به ادبه وقال ابن المعتزّ لست تعدم من الاديب كرمًا من طبعه اوتكرّمًا من ادبه وقال ايضًا الادب صورة العقل فحسّن عقلك كيف شئت

الباب الثامن عشر في ذمّ الادب

كان يقال اذا كثر ادب الرجل قلّ خيره ومن قلّ خيره كثر ضيره وقال الحدوني ويروى للخليل بن احمد البصريّ ما ازددت في ادبي حرفا اسرّ به الّا تزايد حرفا تحته شوم

انّ المقدّم فى حذقٍ بصنعته انّى توجّه فيها فهو محرومُ

وقال ابو الحسن المشادى

اذا مرّك ان تحظى وان تلبس فوهيّا
من الخزّ او الوشى يمانيًا وسوسيّا
وان تصبح ذا عزّ فكن علجًا نبيطيّا
وان سرّك حرمانٌ به تصبح مقليّا
فكن ذا ادب جزلٍ وكن مع ذاك نحويّا

وقال آخر ٥

اذا هممتُ بشأوٍ قلتُ انّى قدْ ادركتُه ادركتنى حرفة الادب
لا تغبطنّ اديبًا ماله نشبٌ لا خير فى ادبٍ الّا مع النشب

الحرفة بضم الحاء وسكون وتفصان فى الرزق والحرفة بكسر الحاء الصناعة ٥

وقال بعضهم حرفة الادب حُرفه ويقال للادب حُرفة لا يخلو منها اديب وفى هذا الباب من غير هذا الكتاب لقابوس ولى همة فوق السماك محلها ولكن لحظى فى الحضيض نصيبُ
رأى الفلك الدوار سعيى فقال لى اتسألنى حظًا وانت اديبُ

الباب التاسع عشر فى مدح الشعر والشعراء

كان يقال الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز ادبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء للكلام امراء وقال بعض السلف الشعر ادنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى وقال آخر الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به

الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهرة الكرام
واعطاء الشعراء من برّ الوالدين وقال بعضهم
انصف الشعراء فانّ ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم
الحاكمون على الحكّام وقال آخر الشعر الجيّد هو
السحر الحلال والعذب الزلال وقال النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم انّ من الشعر لحكمة وانّ من البيان لسحرا وعنه
عليه السلام اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد
الا كلّ شئ ما خلا الله باطل قال النبيّ عليه السلام صدقت
ثم قال وكلّ نعيم لا محالة زائل قال النبيّ عليه السلام كذبت
نعيم الجنّة لا يزول وقال بعضهم ربّ بيت شعر
خير من بيت تبر وكان عمر رضى الله عنه لا يعرض له امر
الّا انشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يطاير تطاير
الشرر والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر وقال آخر
الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيض
من اشعر الناس قال من اذا قال اسرع واذا وصف ابدع
واذا مدح رفع واذا هجا وضع وقال دعبل في
كتابه الموضوع في مدح الشعراء انّه لا يكذب احد الّا اجترأه
الناس فقالوا كذاب الّا الشاعر فانه يكذب ويستحسن كذبه
ويحتمل ذلك له ولا يكون ذلك عيبا عليه ثم لا يلبث ان يقال
احسنت وفيه انّ الرجل الملك او السوقة اذا صيّر ابنه
في الكتّاب امر معلّمه ان يعلّمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن

ليس ان الشعر لهو ولا كرامة للشعر لكنه من افضل الآداب
فيأمر بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال
وتعرف به محاسن الاخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح
واى شرف ابقى من شرف يبقى بالشعر وفيه ان امرئ القيس
كان من ابناء الملوك وكان من اهل بيته وبنى ابيه اكثر
من ثلاثين ملكا فبادوا وبادذكرهم وبقى ذكره الى القيامة
وانما امسك ذكره شعره وقال المؤلف الكتاب
واحسن ما مدح به الشعر قول ابى تمام حيث يقول
ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالى كيف تبنى المكارم

واحسن منه

ارى الشعر يحيى الجود والبأس بالذى تبقيه ارواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد وما الناس الا اعظم نخرات
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتجز وينشد بيت طرفة
ولا يقيم وزنه فصل لابى بكر الخوارزمى جامع لمدح الشعراء
ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم
ورد والا فيهم اذا ذموا ثلموا واذا مدحوا سلبوا واذا
رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا
اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة
يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر
وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ فى الاعراض
وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل

اى هلكوا ٥

وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت الف قنطار
ان باعوا المغشوش لم يردّ عليهم وان صادروا الصديق لم
يستوحش منهم بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق
الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم اسمهم
ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل بل
ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصّرون طويله
ويطوّلون قصيره يقصرون ممدوده ويحققون ثقيله
ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل واد
يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

الباب العشرون في ذمّ الشعر والشعراء

كان يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير
وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع
الشعر بيت

رايت رقا الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقيل ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه
اخبث من ان اسلطه على عقلي وقال غيره لا خير
في شئ احسنه اكذبه وكان ابو مسلم يقول اياكم
والشعراء فانهم يهجون جليسهم ويطلبون على الكذب
مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه
اذا غضب عليك هجاك واذا رضي عنك كذب عليك

وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من رواتهم بالصفة
الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية
وقرنهم بشر صنف من منتحلي الاباطيل وهم الكهنة فقال
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا
ما تذكرون وما احسن واصدق ما ذم به الشاعر قول
عبد الصمد بن المعذل لابي تمام وقد قصد البصرة وشارفها

انت بين اثنتين تبرز النا ... س وكلتاهما بوجهٍ مذالِ
لستَ تنفك طالباً لوصال ... من حبيب او راغباً في نوالِ
اي ماء الحرِّ وجهك يبقى ... بين ذُلِّ الهوى وذُلِّ السؤالِ

فلما بلغت الابيات لابي تمام قال صدق والله واحسن وثنى
عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها ابدا ولبعضهم

انّي ارى الشعراء افنوا دهرهم ... في وصف كلّ جبيبةٍ وحبيب
وسواهم يحظى بما وصفوا له ... فهم كما القوّاد في الترغيب
لكن ترى القوّاد تظفر بالعطا ... وهم بمقت الله والتكذيب

وقال ابو سعيد الخزومي

الكلب والشاعر في حالةٍ ... ليتَ انّي لم اكن شاعرا
اما تراه باسطاً كفّهُ ... يستطعم الوارد والصادرا

وقال ابو سعيد الرستمي الاصبهاني

تركتُ الشعرَ للشعراء انّي ... رأيتُ الشعرَ من سقط المتاع

قيل ان ظفر بن سعيد كان اديبا فاضلا لبيبا كتب
على حاشية الكتاب هذين البيتين فأخذته غيرة الادب

فقال كذب قائل هذا الشعر لقد وهم فيما شبّه اذا كانت الكلب يلقى اليه لقاسط الوائد وهذا يخصّ بانواع الفوائد وذاك يطعم رحمه وهذا يعطى خشيه وله من الفضائل مايقر طباع اللئيم ويهز عطف الكريم ويستدلّ بصناعته على جواهر المعادن ونوقال هذين البيتين لاصحاب وانصف يمدح اقواما يرجّى الغنى وانّما يحرّك فى نحسه يكذب فى المدح ويعطونه وعدا ويقضى الدين من جنسه

الباب الحادى والعشرون فى مدح الكتب والدفاتر

قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا وانا شحن مزاحا وجدّا ان شئت كان اعيا من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت عجبت من غرائبه وان شئت الهتك مضاحكه وان شئت اشجتك مواعظه فالكتاب نعم الظهر والعدّه ونعم الكنز والعدّ ونعم الذخر والعقد ونعم النزهة والعشره ونعم الشغل والحرفه ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وهو الجليس الذى لايطريك والصديق الذى لايغريك والرفيق الذى لايملّك والمستبيح الذى لايستزيدك والجار الذى لايستطيلك والصاحب الذى لايريد استخراج ماعندك وهو الذى يطيعك بالليل طاعته بالنهار

ويفيدك فى السفر افادته فى الحضر لايعتل بسوم ولا ضجر
ولا يعتريه كلال سهر وهو المعلم الذى اذا افتقرت اليه لم يحتشك
واذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة
وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك وان قل مالك لم يترك
زيارتك ثم قال متى رأيت بستانا يحمل فى رزن وروضة
تقلب فى حجر ينطق عن الاموات ويترجم كلام الاحياء
ومن لك بواعظ ملة وبزاجر سفر وبناسك فاسق وبساكت
ناطق وبحار بارد وبطبيب اعرابى وبرومى هندى وبفارسى
يونانى وبقديم مولد وبميت ممتع ثم قال ولولا ما وسمت
لنا الاوائل فى كتبها وخلدت فى عجائب حكمها ودونت من
محاسن سيرها وفننت من بدائع اثرها حتى شاهدنا
ما غاب عنا وفتحنا كل مستغلق علينا لجمعنا الى قليلنا
كثيرهم وادركنا ما لم ندركه الا بهم ثم قال ولولا
الكتب المدونة والاخبار المفننة لبطل اكثر العلم ولغلب
سلطان النسيان سلطان الفهم وقال
مؤلف الكتاب حدثنى صديق لى قال قرأت على شيخ كتابا
فيه مآثر غطفان فقال ذهبت المكارم الا من الدفاتر
قال وسمعت الحسن اللؤلؤى يقول عبرت اربعين عاما
ما قلت ولا بيت الا والكتاب موضوع على صدرى وقال
المؤلف وكثيرا ما اذكرنى اكل الوحية وانا انظر فى كتاب جديد
وقع الى ولا اصبر عنه الى وقت فراغى من الاكل وسمعت

٢ اى جاوزت ٥

٣ الوحية ما يأكله الانسان من الوقت الى الوقت ٥

ابا نصر سهل بن المذمال يقول كثيرا ما افعل مثل ذلك وكان
يقال انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهب
الالباب وقال الحسن بن طباطبا العلوى فى بعض
الكتب الكتب حصون العقلاء اليهم يلجؤن وبساتينهم
بها يتنزهون وقال

اجعل جليسك دفترا فى نشره للميت من حكم العلوم نشور
وكتاب علم للاديب مؤانس ومؤدب ومبشر ونذير
ومفيد آداب ومونس وحشة واذا انفردت فصاحب وسمير

وللمتنبى

اعز مكان فى الدنا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

الباب الثانى والعشرون فى ذم الكتب والدفاتر

يقال الكتاب علم لا يعبر معك الوادى ولا يعمر بك النادى
وقيل فى معناه

انى لاكره علما لا يكون معى اذا خلوت به فى جوف حمام

وقيل من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن
تطبب منه قتل الانام ومن تنجم منه اخطأ فى الايام
ومن تفقه منه غير الاحكام وقال الشاعر

ليست علومك ما حوته دفاتر لكن علومك ما حوته صدور

ولمؤدب لى كان فى صباه انشدنى

صاحب الكتب تراه ابدا غير ذى فهم ولكن ذا غلط

كلما فتشته عن علمه ... قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جيادٍ احكمت ... وبخطٍ اي خطٍ اي خط
فاذا قلت له هات اذاً ... حك لحييه جميعاً وامتخط

وانشد الجاحظ لمحمد بن بشير

اميل الى كل ما اسمع ... واحفظ من ذاك ما اجمع
ولو استفيد سوى ما جمعت ... لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل شئ ... من العلم تسمعه تنزع
فلا انا احفظ ما قد جمعت ... ولا انا من جمعه اشبع
ومن يك في علمه هكذا ... يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قاتله الله شديد الصبابة بالعلم كثير الصيانة له وانشد يونس النحوي

استودع العلم قرطاساً فضيعه ... وبئس مستودع العلم القراطيس

وللأستاذ الطبري رسالة في آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب ... فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها ... واللص يسرقها والفار يخرقها

الباب الثالث والعشرون في مدح التجارة

قد ذكر الله تعالى التجارة في القرآن حيث قال يا ايها الذين منوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة

عن تراضٍ منكم وقال عز اسمه واحل الله البيع
وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله وقال النبي عليه السلام
اطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب في القرآن
التجارة وقال عليه السلام التاجر الصدوق
مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وقال عليه السلام تسعة اعشار الرزق في التجارة
وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشخصا
مسافرا وباع واشترى حاضرا ولا شتهار امره في ذلك
قال المشركون مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
فاوحى الله تعالى اليه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فاخبر جل اسمه
ان الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات وكان
عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي اضرب في ارض الله
وابتغي من فضل الله وكان بعض السلف يقول
الاسواق موائد الله في ارضه فمن اتاها اصاب منها
وعن مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم يعني التجارة
في الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح
توفيقات

الباب الرابع والعشرون فى ذم التجارة

فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم لو شئت حلفت لكم ان التاجر فاجر وقال عليه السلام ما اوحى الى ان اجمع واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان اسبح بحمد ربى واكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ليس بفقيه الا اكل من الربا شيئا وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان على رضى الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من اخذ الحق واعطاه ويروى ان ابليس لما استنظر فانظر قال الهى اين بيتى قال الحمام قال ما مصايدى قال النساء قال اين مجلسى قال السوق وكان ابو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغى وتلهى وقال الحسن الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ما اغفلهم ويلهم عما اعد لهم قال الشاعر مصراع

اذا ما غضب السوق فالحية ترضيه

وقال آخر

ما للتجار وللسخاء وانما نبت لحومهم على القيراط

وقال ابن الرومى

رَبِّ اَطلق يَدَىَّ فى كل شيخ ذى رياءٍ بسمتِه وسكونِه
تاجرٍ فاجرٍ جموعٍ منوعٍ يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال

كلوا مال التجار وسوفوهم الى وقتٍ فانهم لئام
وليس عليكم فى ذاك اثم فان جميع ما جمعوا حرام

وقال عكرمة اشهد على كل وزان وكيال بالنار
وفى الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض
فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديقٍ له
لاتسلم ابنك فى شئ من انواع الكسب فانها تورث
لامحالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعى
اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد نرى يا ابن ابى اسحاق فى ودك عهدك
وكذا السوق للاخوان سوق المودة

الباب الخامس والعشرون فى مدح الضياع

حدث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق فى خبايا
الارض وكان عروة يقول ازرع امالك ارض
اما سمعت قول القائل

اقول لعبد الله لما لقيته يسيرا على الرقمتين مشرقا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب وترزقا

وقال

وقال بعض السلف من اراد ان يتوسع في الرزق
فليقرن مع تجارة له ضيعة الا ترى ان الله تعالى قد قرن بينهما
في كتابه فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل
يبيع الضيعة فلا يبارك له في ثمنها فقال اما سمعتم قوله تعالى
في وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فكيف يبارك
في ثمن يزيل عن ملكه شيئا قد بارك الله فيه وفي الخبر من
باع عقارا ولم يصرف ثمنه في مثله كان كرماد اشتدت به الريح في
يوم عاصف وقال اسمعيل بن صبيح لصديق له
اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان وقيل
اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
وفي الكتاب المبهج فلاح المعيشة في الفلاحة والاضيعة
على من له ضيعه وفيه قص جناح المال الطيار باعتقار
العقار وفيه ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار
وشرى الماء واشترى الاماء وعن انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت
القيامة وفي يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ
باسناد له عن عبد الله بن سلام لا تدع غرس يدك ولو سمعت
ان الدجال يخرج وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه
اتغرس بعد الكبر فقال لان توافيني الساعة وانا من
المصلحين خير من ان توافيني وانا من المفسدين

وقيل لابي الدرداء وهو يغرس جوزة اتغرس بعد الكبر
وانت شيخ وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة او ثلاثين
فقال وما علي ان يكون الاجر لي والهناء لغيري ويقال
مر كسرى ببشيخ كبير يغرس فسيلة فقال اترى ان تاكل
من ثمرها فقال لا ولكني وجدت ارض الله عامرة فاحببت
ان لا تخرب على يدي ويقال ان شيخا كان يغرس
شجر النارجيل وهي لا تثمر الا بعد اربعين سنة فمر به كسرى
وقال له اتعيش الى ان تاكل منها فقال الشيخ غرسوا واكلنا
ونغرس فياكلوا فقال كسرى زه زه وامر له باربعة آلاف
درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه زه فقال الشيخ
ايها الملك ان غرس السابقين اثمر بعد اربعين سنة
وغرسنا اثمر في يومه فقال كسرى زه وامر له باربعة آلاف
مثلها وسئل واحد اي المال افضل فقال عين خراره في
ارض خواره قيل ثم ماذا قال الراسخات في الوحل المطعمات
في المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر
استغن او مت ولا يغررك ذو نسب من ابن عم ولا عم ولا خال
اني مكب على الزوراء اعمرها ان الحبيب الى الاخوان وحالي
كل النداء اذا ناديت يخذلني الا ندای اذا ناديت يا مالي

وقلت في المبهج

اذا ما ثقل الدهـ ـقا ن غلات الرسا تيق
فكم من نخلة بيضا ء في سرد الجوالي

اي وخواره اي

وقلت

وقلت ايضًا

يارب انت وهبتها لى نعمةً ... اضحت تعين على الزمان ببرها
ووهبت منها نعمة لا تلهنى ... يارب انت بسكرها عن شكرها

الباب السادس والعشرون فى ذم الضياع

قلت فى المنهج الضيعة ضائعة ما لم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم وكتب وكلائها سفائح الهموم وقلت فى رقعة الى وكيل اجنبه بها

يا رقعة طويت على حيات ... وعقارب كدرن ماء حياتى
ما انت الا مس تباريح الجوى ... وسفائح الاحزان والحسرات
وكان احرفك الكريهة اعين ... لروافد والسن لوشاة
او كالضياع رقاع قيمها اذا ... وافت بحوادث الآفات

وقلت ايضًا

قد قلت قولًا سديدًا ... يروى لعطاش بمائه
ان الخراج خراجٌ ... دواؤه فى ادائه

وهو منظوم من قول الصاحب حيث قال الخراج خراج دواؤه فى ادائه وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة ابى العباس احمد بن محمد بن الفرات فانشدنى

هى للمال الا ان فيها مذلةً ... فمن شاء قاسا ومن ذل باعها

وقال ابو زكريا يحيى بن اسمعيل الحربى لابن محمد التلمى

قد كانت الضيعة فيما مضى ... تعدّ من يملكها ذا هبه
فصار من يملكها يومنا ... مهجته في حفظها ذا هبه
يستغرق الغلّة في خرجها ... وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها كلّ ذا ... ينجو والّا نتّفوا شاربه

الباب السابع والعشرون في مدح الدور والابنية

كان يقال جنّة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بنيّ دارك قميصك فوسّعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال لكن اوّل ما يشترى وآخر ما يباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروءة للفتى ... ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها ... واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشّه وفيها يطيب عيشه وقال المسلّمي في كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعشّ للطير والاوجرة للوحش والجحر للحشرات ودار الرجل مأوى نفسه وموضع امنه ومسكن قلبه ومجمع اهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوّه فلا شئ اصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم

ما فعلوه الا قليل منهم وقال المتوكل لابي العيناء كيف ترى
دارنا هذه فقال يا امير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور
في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك وقال بعض الاشراف
لابنه يا بني حسن اثرك في هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع
قول الشاعر

ليس الغنى بالذي لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن احسن ما قيل في وصف الدور قول علي بن الجهم

وما زلت اسمع ان الملوك تبنى على قدر اخطارها
فلما رأيت بناء الامام رأيت الخلافة في دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين
الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودار
عين المربد ومن احسن ما سمع في التهنئة بالدور
قول ابي القاسم الزعفراني في الصاحب

سر لك الله بالبناء الجديد نلت حال الشكور للمستزيد

هذه الدار جنة الخلد في الدنيا فصلها واختها بالخلود

ولمؤلف الكتاب في الاخشيد بحر جانيه

وقصر ملك ترى كل الجمال به واسعد الدهر تبدو من جوانبه
كأنه جنة الفردوس قد نزلت الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

الباب الثامن والعشرون فى ذم الدور والابنية

فارق النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه الصلاة والسلام يقول اذا اراد الله بعبد سوءا جعل ماله فى الطين والماء وعنه ايضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله فى اللبن والطين وقال وهب بن منبه فى الحديث القدسى قال الله عز وجل من استغنى باموال الفقراء افقرته ومن تجبر على الضعفاء اذللته ومن بنى بقوة الفقراء اعقبت بناءه الخراب وقال وهب ابن الورد كان نوح عليه السلام اتخذ بيتا من خص فقيل له لو بنيت بناء فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتى بعدكم اقوام يرفعون الطين ويضعون الدين ويشتهون البرادين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وقيل ليزيد بن المهلب لم لا تبنى دارا بالبصرة فقال لانى لا ادخلها الا اميرا او اسيرا فان كنت اميرا فدار الامارة دارى وان كنت اسيرا فالسجن مسكنى وقرارى وكان يقال البناء من يوم ابتدائه فى نقصان والغرس من يوم ابتدائه فى زيادة ومر بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذى يقيم كفيلا وقيل الدار الضيقة

العمى الاصغر ومن احسن ما قيل في التبرم بالعمارة قول بعضهم

الا من لنفسٍ احزانها ودار تداعت بحيطانها
اظل نهاري بشمسها شقيًا بالقاء بنيانها
اسوّد وجهي بتبييضها واهدم كيسي بعمرانها

الباب التاسع والعشرون في مدح الحمام

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينفي الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشي فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب العشافة ويعقب النظافه ويجشي التخمه ويطيب البشره وقلت في المعنى

الحمام صقيل الاجسام ونظام النظافه ودافع آفة القشافه ولم يمدح الحمام كما مدحه السري حيث قال

بيت بنته حكماء الورى فهو الى الحكمة منسوب
مجاور النار ولكنه يجاور النار به الطيب
حرّ هوا الروح لاجسامنا والحر للاجسام تعذيب

ولبعضهم وقد دعا صديقا الى الحمام واظنه للسري ايضًا

اسعيد هل لك في زيارة منزل تثني عليه جوارح الزوّارِ
بيتٌ ترى الجدران فيه منابعًا وترى السماء كثيرة الامطارِ

ولبعضهم

وفاتن الناس في الحمام تحسبه على تثنيه غصنًا اراق منظرهُ

مدلّل شعرهُ كاللّيل اسبلهُ على قضيب من البلّور يستترهُ
يالَيتني الماء يجري في معاطفهُ اوليتَ انّي في الحمّام مئزرهُ

ولآخر في مليح دخل الحمّام

وحمّامٍ رأيت به غزالاً كبدر التمّ في غصن قويم
فقلتُ تعجبوا من صنع ربّي رأيتُ الحوز في وسط الجحيم

ولآخر يمدحهُ

قمْ بنا قبل غرّة الاصباح وقيام السّقاة بالاقداح
نتمشّى الى النعيم الّذي فيهِ صلاح الاجساد والارواح
بيتُ ظرفٍ تجول عينيك فيه بين بيض الطّلا وبيض الفقاح
وتلا في الجسوم في خلعٍ منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلتَ جسمك فيه باكف النعيم صقل الصّفاح
تتروّى من الصبوح وتقتضّ نسيم الرياح قبل الصّباح

وللمؤلّف في المبهج

وحمّامٍ له حرّ الجحيم ولكنْ شابهُ بردُ النعيم
رأيتُ به ثواباً في عقابٍ ونزرتُ به نعيماً في جحيم

ولابي طالب المأمونيّ رحمه الله

احقّ بيتٍ من بيوت الورى بصونهِ قدماً وايثارهِ
بيت اذا ما زاره زائرٌ قضى به اعظم اوطارهِ
وهو اذا ما جاء مستنظفاً مروءة الانسان في دارهِ
يدخله المولى بخزّ كما يدخله العبدُ باطمارهِ

ولهُ

وبيت كأحشاء المحب دخلته ... ومالي ثياب فيه غير إهابي
أرى محرما فيه وليس بكعبة ... فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي
بماء كدمع الصب في حر قلبه ... اذا آذنت احبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم ... ولكنها من غير مس عقاب
يثير ضبابا بالبخار محللا ... بدور زجاج في سماء قباب

الباب الثلاثون في ذم الحمام

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفي الخبر ان الحمام من بيوت الشياطين ولما مدح الرقاشي الحمام بما تقدم قيل له ذمه فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الاستار ويذهب الوقار ويؤلف الى الاطياب الاقذار ومن ابلغ ما قيل في ذمه قول ابن المعتز

حمامنا كعجوز ... يشقى بها كل وارد
فبيت اول نتن ... وبيت ثاني بارد

وقوله

ما نلت بالحمام حرا ولا ... يصلح فيه غير تبريد ماء
وجدت بالصيف به رعدة ... فكيف ارجو عرقا في الشتاء

ولبعضهم

وحمام دخلناه لامر ... حكى سقرا وفيه المجرمون
فيضطرخوا ليقولوا اخرجونا ... فان عدنا فانا ظالمون

وللصنوبري

حمّامنا ليس فيه ماء ... وبرده ماله انقضاء
ما ينفع القطن فيه شيئًا ... كلّا ولا اللبابيد والقراء
ترعد في الصيف فيه بردا ... فصيف حمّامنا شتاء
فلم نرده لدفع داء ... هل يدفع الداء وهو داء

الباب الحادي والثلاثون في مدح المال

قد مدح الله المال وسمّاه خيرًا بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرًا اى مالاً وبقول المفسّرين وانه لحبّ الخير لشديد اى للمال ويروى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان يقول حبّذا المال اصون به عرضى واقرضه ربّى فيضاعفه لى يريد قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وروى السدّى عن ابن عبّاس رضى الله عنهما فى قوله عزّ اسمه ويزدكم قوة الى قوّتكم اى مالاً الى مالكم وكان رضى الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال ويقال المال يكسب اهله المحبّة لا مجد الآباء ولا حمد الآباء فعال وقيل الآمال مشغولة بالاموال وقال الشاعر

كلّ النداء اذا ناديت يخذلنى ... الّا نداءك اذ ناديت يا مالى

ولابى العتاهيه

قد بلونا الناس فی احوالهم فرایناهم لذی المال تبع

وقال آخر

شیئان لا تحسن الدنیا بغیرهما المال تصلح منه الحال والولد
زین الحیاة هما لو کان غیرهما کان الکتاب به من ربنا یرد

یعنی قوله تعالی المال والبنون زینة الحیاة الدنیا وکان یقال اصل السؤدد والریاسة المال وبه تستجمع اسبابهما وتطرد احوالهما وقد انقاد الناس قدیما وحدیثا للغنی ولذلک حکی الله تعالی فی ارطالوت عن ملکه علیهم فقال ان الله قد بعث لکم طالوت ملکا قالوا انی یکون له الملک علینا ونحن احق بالملک منه ولم یؤت سعة من المال وقلت فی المنهج لا موئل کالمال وفیه القلوب لاستعمال بمثل المال والعرض هو العرض وفیه مال الرجل موئله وقوته وقوته وفیه من اصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

الباب الثانی والثلاثون فی ذم المال

قال الله تعالی انما اموالکم واولادکم فتنة ویقال المال ملول والمال میال والمال غادور ائح وطبع المال کطبع الصبی لا یوقف علی رضاه وسخطه وقیل المال لا ینفعک ما لم یغار وقیل قد یکون مال المرء سبب حتفه کما ان الطاوس قد یذبح لحسن ریشه ومن احسن ما قیل فی هذا المعنی

قول ابن المعتز

المرء ان المال يهلك ربه اذا حم أجله وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير محمة وسد طريق الماء فهو غريقه

الباب الثالث والثلاثون في مدح الغنى

قلت في المبهج لو لم يكن في الغنى الا انه من صفات الله لكفى به فضلا فاضلا ومن ابلغ ما قيل فيه اي في مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى فانت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر انك من آدم

وينشد لابي الاسود الدؤلي في حارثة بن بدر وقاه تميم بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهوينى ينطق

وقال غيره

المرء ان الفقر يهجر بيته وبيت الغنى يهدى له ويزار

وقلت في المبهج الغنى مجل مبجل والفقير مذل مستذل

الباب الرابع والثلاثون في ذم الغنى

قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال عز ذكره انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض

وقال

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ما جدد والله معصية الا جدد لهم
ليستدرجهم بها وقال بعض الحكماء الغنى فى
البطر ويقال غنى النفس افضل من غنى
وقال الشاعر

غنى النفس ما عمرت غناء وفقر النفس ما عمرت فقير

وقال محمود بن الورّاق

لا تشعرن قلبك حب الغنى ان من العصمة ان لا تجدا
كم واجد اطلق وجدا عنانه فى بعض ما لا يريد
ومدمن للخمر غاد الى سماع عود وغناء يعربد
لو لم يجد خمرا ولا مسمعا برد بالماء غليل الكبد
وكم يد للفقر عند امرئ طأطأ منه الفقر حتى اقتعد

الباب الخامس والثلاثون فى مدح الفقر

كان يقال الفقر شعار الصالحين ويقال الفقر
لباس الانبياء وفيه يقول البحترى

فقر كفقر الانبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد

وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل ويقال
الفقر اخف ظهرا واقل عددا وكان سفيان الثورى
يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد فى سبيل الله
ومن احسن ما قيل فى مدح الفقر قول ابى العتاهيه

ألا ترى أن الفقير يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقال محمود الورّاق

يا عائبَ الفقرِ لا تنزجرْ عيبُ الغِنى أكثرُ لو تعتبرْ
من شرفِ الفقرِ ومن فضلِه على الغِنى لو صحّ منك النظرْ
انك تدعو الله تبغي الغِنى ولستَ تدعو الله ان تفتقرْ

الباب السادس والثلاثون في ذم الفقر

كان يُقال الفقر مجمع العيوب. ويُقال الفقر كنز البلاء ويقال الفقر هو الموت الاحمر وقال النبيّ عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وكان سعيد بن عبد العزيز يقول ما ضُرِبَ العبادُ بصَوْت اوجع من الفقر ومن فضول ابن المعتز لا ادري ايّهما امرّ موت الغنيّ ام حياة الفقير وقلت في المبهج لا فاقرة كالفقر وفيه الفقر في الاذن وقر وفي الكبد عقر وفي القلب نقر وفي الجوف بقر

وينشد لبعضهم

اذا قلّ مال المرء قلّ حياؤهُ وضاقت عليه ارضه وسماؤه
واصبح لا يدري وان كان حازما اقدامه خيرٌ له امْ وراؤهُ

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت امورَ الناس سبعين حجة وجرّبتُ صرفَ الدهرِ في العسرِ واليسرِ
فلم ارَ بعدَ الدينِ خيرًا من الغنى ولم ارَ بعدَ الكفرِ شرًّا من الفقر

وقال ابو احمد اليمامي

غالبت كل شديدة فغلبتها ... والفقر غالبني فاصبح غالبي
ان ابد افضح وان لم ابد اقتل ... فقبح وجهه من صاحب

الباب السابع والثلاثون في مدح القناعة

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يا بني العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع وكان يقال انت العزيز ما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله في حدائق النعيم ويقال اخفض الخفض رضى المرء بحظه وقال بعضهم من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فضول ابن المعتز اعرف الناس بالله من رضي بما قسم له وقال غيره من قنع بماله استراح وراح وقال ابو العتاهية ان كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الارض لا يغنيكا

وقال ايضا

قنع النفس بالكفاف وانى ... طلبت منك فوق ما يكفيها

ولغيره

اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن ... على حالة الا رضيت بدونها
ومن طلب العليا من العيش لم يزل ... حقيرا وفي الدنيا اسير عبودها

وقال غيره

اذا ما شئت ان تحيى حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تحقد ولا تأسف على الدنيا

الباب الثامن والثلاثون فى ذم القناعة

قال بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة تلحف بالخمول وفاته معالى الامور وقال آخر القناعة من اخلاق العجائز والزمن العاجز ويقال البركات حيث الحركات وقال حكيم لابنه يا بنى ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم النجيزة فلا ترضى لنفسك الا كل غاية

وقال الرافعى من قصيدة له

رأت عزماتى وفرط انكماشى وطول التململ فوق الفراش
فقالت اراك اخا همة ستبلغها فترى ذا انتعاش
فهلا قنعت ولا تغترب فقلت القناعة طبع المواشى

وقال رجل لمعروف الكرخى رحمه الله أأتحرك فى طلب الرزق اذا جرى فى طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله ان ينزله عليها من غير ان تسعى فى هز النخلة لفعل وقد نظم هذا المعنى من قال

الم تر ان الله اوحى لمريم وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شئ له سبب

الباب التاسع والثلاثون في مدح القلة

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول اللهم اجعلني من الاقلين فقال ما هذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ما هم وما امن معه الا قليل وقليل من عبادي الشكور وقال بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة في كتاب الله عز وجل وانما الممدوحون الاقلون لانا سمعنا الله يثني على اهل القلة ويمدحهم ويذم اهل الكثرة ويجهلهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الا قليلا منكم ويقول فشربوا منه الا قليلا منهم ويقول لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لاحتنكن ذريته الا قليلا ويقول جل جلاله في ذم الكثرة ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل اكثرهم لا يؤمنون ويقول ولكن اكثر الناس لا يشكرون ويقول منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ويقول واكثرهم لا يعقلون ويقول ولكن اكثرهم يجهلون ويقول ولكن اكثرهم للحق كارهون ويقول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وقال الشاعر

تعيّرنا انا قليل عدادُنا فقلتُ لها انّ الكرام قليلُ
وما ضرّنا انّا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليلُ

وقالت الفلاسفة كلّ كثير عدوّ الطبيعة وقالت الاطبّاء الاقلال ممّا يضرّ خير من الاكثار ممّا ينفع

وقال اسحق الموصلي

هل الى نظرة اليك سبيلُ فيروى الظمأ ويشفى الغليلُ
انّ ما قلّ منك يكثر عندي وكثير من الحبيب القليلُ

وقال جعفر الصّادق رضي الله عنه لا تستحي من اعطاء القليل فكلّ فوائد الدّنيا قليل والحرمان اقلّ منه

وقال الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليلُ

الباب الاربعون في ذمّ القلّة

كان يقال الذلّة في القلّة والشّرف في السّرف

وكان قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهمّ انك تعلم انّ القليل لا يسعني ولا اسعه فاكثر لي ووسّع عليّ

وقال منصور الفقيه

منافسة الغنى فيما يزول على نقصان همّته دليلُ
ومختار القليل اقلّ منه وكلّ فوائد الدّنيا قليلُ

وقال سري الموصلي

فبلّغني النّعيم بغير بخس وقلّت قليل اتى منّي قليلُ

تعجبت لما ابتدى بالجميل وما كان يعرف فعل الجميل
وما كان اعطاوه سؤددٌ ولكنه غلطة من بخيل
ويقال من قل ذل ومن بزّ عز وقال
النبي عليه السلام كونوا مع السواد الاعظم

الباب الحادى والاربعون فى مدح اللسان

كان يقال ما الانسان لولا اللسان الا صورة
ممثله اوضالة مهمله اوبهيمة مرسله وقال
بعض الحكماء المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق
نطق ببيان وان قائل قال بجنان وقال
الجاحظ اللسان اداة يظهر بها البيان وشاهد
يعبّر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب
وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجه
وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح
ومغرٍ ترد به الاخوان ومبشّر ترد به الاحزان
ومعتذر تذهب به الاضغان ومُلهٍ يؤنق الاسماع
وزارع يحرث المودّه وحاصل يستأصل العداوه
وشاكر يستوجب المزيد ومؤنس يسلّ الوحشة
ويقال المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت
طيلسانه وقال بعض العلماء البلغاء
للسان فضائل معدومة فى الجوارح ودرجته

عالية على درجاتها لما خصه الله به من النطق والبيان
وانطقه بالذكر والقرآن وانشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وكم قد ترى من صامت معجب زيادته او نقصه في التكلم

ومن احسن ما قيل في اللسن والبراعة قول ابراهيم
ابن شار في ابي مسلم

لسان محمد امضى غرارا وانفذ من ظبا حد الحسام
اذا ارتجل الكلام بدا خليج بفيه يمد بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام من اليا قوت بل حب الغمام

وقال آخر

وما المرء الا اصغريه لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة راقتك فاحذر فربما امر مذاق العود والعود اخضر

اعلم ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان
هو اللسان وجماله هو البيان نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضي الله عنه فتبسم
فقال له مما ضحكت يا رسول الله فقال اعجبني جمالك
يا عم فقال اين موضع الجمال مني فاشار الى لسانه
وقال ايضا عليه السلام جمال الرجل فصاحة لسانه

الباب الثاني والاربعون في ذم اللسان

كان يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء

اللسان اجرح جوارح الانسان وقال آخر
اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم وكان
ابن مسعود رضي الله عنه يقول والذي لا اله الا
هو ما على الارض شئ احق بطول السجن من اللسان
وقال بعض العرب لرجل وهو يعظه في حفظ
اللسان اياك ان يضرب لسانك عنقك وقد قيل
احذر لسانك ايها الانسان ليكدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الفرسان

وقال محمد بن اليزيدي

حتف الفتى لسانه في جده ولعبه
بين اللهات مسكنه ركب في مركبه

وقال آخر

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال ابن المعتز

يا رب السنة كالسيوف تقطع اعناق اصحابها
وكم دهى المرء من نفسه فلا تؤكلن بانيابها

ومن ابلغ ما قيل في عي اللسان قول بعضهم

بين فكيه لسان ينسب العي اليه
فاذا حاول قولا عسر القول لديه
وسواء هو فيه اوحسام في يديه

الباب الثالث والاربعون فى مدح الصمت

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله وكان يقال الصمت انفع للناس والسكوت انفع للطير لان الطير اذا انبس قبض وحبس وقال بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول ومن فصول ابن المعتز من اخافه الكلام اجاره الصمت وقال ايضا الخطأ بالصمت يختم والخطل بمثله لا يكتم

وقال آخر

الصمت يكسب اهله صدق المودة والمحبه
والقول يستدعى لصا حبه المذمة والمسبه
فارغب عن القول ولا يحتاج منك اليه رغبه

وقيل اربع كلمات صدرت عن اربعة ملوك كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى لم اندم على ما لم اقل وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انى على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتنى واذا لم اتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع ما نفعته ويقال من سكت فسلم

كان كمن تكلم فغنم ويقال من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته وقال بعض الحكماء اول العلم الصمت والثانى حسن الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل من حفظ لسانه نجا من الشر كله نظم

ولو كون القول فى القياس من فضة بيضاء عند الناس
اذا كان الصمت من خير الذهب فاسمع هداك الله تلخيص الأدب

وقال آخر

والصمت عن القبيح تسمعه صاحب صدق لكل مصطحب
فآثر الصمت ما استطعت فقد يوثر قول الحكيم فى الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق لكان جل السكوت من ذهب

وقول آخر

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجم فاه بلجام

وفى كتاب عيون الآداب بيت

كلام مراع الكلام مفوت قد افلح الصامت الساكت

وقال ابن مسعود ما شئ احق بطول السجن من اللسان وقال بعضهم اذا اعجبك الكلام فاصمت وقيل شعر

احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان يريد الفؤاد يدل الرجال على عقله

وقول آخر

ان كان يعجبك السكوت فانه ... قد كان يعجب قبلك الاخيارا
ولئن ندمت على سكوتي مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

الباب الرابع والاربعون في ذم الصمت

قال رجل بين يدي عمر رضي الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فاحسن قدر ان يسكت فيحسن وقال بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما ان المنطق نتيجة الحياة وقال النبي صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل فلما سكت عنه وقال آخر اخزى الله المساكنة فما اسوء اثرها على اللسان واجلبها للعي والحصر الى الانسان وقال بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر عن شئ فهو افضل ويقال اللسان عضو فان ربيته مرن وان تركته حرن

الباب الخامس والاربعون في مدح الصبر

قال

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيرا من الصبر والمعافاة وقال ايضا عليه السلام لم نزل نستزيد للصابرين حتى نزلت انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال علي عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له وقال ايضا الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية شعر

تصبر ولا تورى لتضعضع للعدا ... ولو قطعت في الجسم منك البواتر
سرور الاعادي ان تراك بذلة ... ولكنها تغتم اذ انت صابر

ولبعضهم

بنى الله للاخيار بيتا سماؤه ... هموم واحزان وحيطانه الصبر
وادخلهم فيه واغلق بابه ... وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

وكان ينشد

اني وجدت وخير القول اصدقه ... للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يحاوله ... فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر

عليك بالصبر فيما قد منيت به ... فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة ... قد ضاء من بعدها صبح من الفرج

وقال آخر

صبرا اذا ما آلمتك ملمة ... واهون بها ما لم تسمك بعار
فعقبى قطوب النحس يسر سعادة ... وبعد ظلام الليل نور نهار

ولبعضهم

اذا كنت في امر فاصبر فانما ... اصابك من مكروه ضر لعالم
لعل الذي اعطاك ما قد منعته ... فضيق اخناق العطايا بالصبر

وفى بعض الاخبار الصبر نصف الايمان
واليقين الايمان كله وقال آخر
اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه تقطع من اسبابه كل مبرم
ويقال اوكد الاسباب للظفر الصبر وقال
بعض العلماء الصبر جنة المؤمن وعزيمة المتوكل وسبب
درك النجح فى الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصبر
لم يجد للاذى مسا وقال النبى صلى الله عليه وسلم
من استعف بالله عفه ومن استعان به يعنه ولن تجدوا
حظا خيرا من الصبر وقال الشاعر
قرن الصبر يظفر بعد حين ٭ بحاجته فيوجد قد قضاها
وقال المهلب يابنى ان غلبتم على الظفر فلا
تغلبوا على الصبر وقال آخر
من يمتطى الصبر يضع رحله بساحة الراحة واليسر
وقال محمود
الصبر امضى سلاح ذى الادب فاقمع به جد سورة الادب
وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
وقال عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
وقال عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان
الحسن البصرى يقول انى لاعجب ممن خف كيف خف بعد
هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا
وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه

فصبر الانكان ما اعاضه افضل مما انتزعه عنه ثم قرأ
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال
بعض الحكماء الصبر صبران صبر عما تحب وصبر عما
تكره والرجل من جمع بينهما وقلت في المنهج الصبر
أحجى بذى الحجج وقال حكيم تابع الصبر متبوع الضر
وقال الشاعر

ما احسن الصبر في مواطنه والصبر في كل موطن حسن

وقال ابن الجهم

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وافضل اخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كامنه وعاقبته العسل

الباب السادس والاربعون في ذم الصبر

الصبر كامنه ويقال الصبر مجرع الغصه
وانتظار الفرصه وانشد

وانى لادرى لذة في الصبر راحة ولكن انفاق على الصبر من عمرى
يقولون لى صبرا لتحمد عبته فقلت لهم ليس التصبر من امرى

وقال البرقعى

من حمد الصبر وطالاته فلنت بالحامد للصبر
كم جرعة للصبر جرعتها امرّ في الذوق من الصبر
تصبرت حتى قيل لى جاهل لا يعرف الخير من الشر
انى اذا الدهر بنا نبوة اصبر للدهر من الدهر

وقال ابو القاسم بن علاء الاصفهانى

فان قيل لى صبرًا فلا صبر للذى ... عذابيد الايام تقتله صبرا
وان قيل لى عذرًا فوالله ما ارى ... لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

الباب السابع والاربعون فى مدح الحلم

كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفة وقال بعض السلف الحلم اجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس انصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه وقال الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيًا الى قوم الا بعثه وامره بالحلم وكان الاحنف يقول ما اضيف شئ الى شئ احسن من علم الى حلم وكان يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات

ومن احسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان كرموا ... حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مشرقة ... لا عفو ذل ولكن عفو احلام

الباب الثامن والاربعون فى ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

Qurtuba.org

ارى الحلم فى بعض المواضع ذلة وفى بعضها عز يسود فاعلمه
وقاتل الاحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له اين الحلم
يا ابا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف
ومن احسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى شعرا

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له اديب اذا ما اورد الامر اصدرا

وقيل وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان وقال محمد بن وهب

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني الى الجهل فى بعض الاحايين احوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوم ومن رام تعويجى فانى معوج

واحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل

اتانى منك ما ليس على مكروهه صبر
فاغضيت على عمد وقد يغضى الفتى الحر
وادبتك بالهجر فما ادبك الهجر
ولاردك عما كا ن منك الصفح والزجر
فلما اضطرنى المكرو ه واشتد بى الامر
تعمدتك بالتنكير حتى راضك النكر
تناولتك من سرى بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل لما مسك الضير
اذا لم يصلح الخير لمرء اصلح الشر

قد شذ فى الاصل منه بيت قال الشيخ الامام البيت الاخير

من قول الحسن وهو انه قيل له ان عندنا رجل اذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير اصلحه الشر ومن قول الاول وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

الباب التاسع والاربعون في مدح المشورة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت وقال عليه السلام ايضا المستشار مؤتمن وقال الحسن البصري ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم وانما اراد عز اسمه ان يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم في الامر يعني ان الانسان لا يستغني عن مشورة ينصح له كما ان القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافي منه قال بشار

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم

قال الاصمعي قلت لبشار رايت رجال الرأي يتعجبون من ابياتك في المشورة فقال اوما علمت ان المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته او خطأ يشارك في مكروهه فقلت له انت والله في هذا الكلام اشعر منك في شعرك وقال الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستشارة المرء برأي اخيه من عزم

الامور وحزم التدبير وقد امر الله تعالى اكمل الخلق لبا
واولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام
فى كتابه الكريم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله
وقال حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك
ويقال اول الحزم المشوره وقال العتابى المشوره
عين الهدايه وقد خاطر من استغنى برأيه وقال
ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك وقال
ايضا من اكثر المشوره لم يعدم عند الصواب مادحا وعند
الخطا عاذرا وقلت فى المنهج ثمرة رأى الاديب المشير
احلى من رأى المشور ولبعضهم لا تشاور الجائع حتى يشبع
ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل
حتى يجد ولا الراغب حتى يلج وقال بعض الحكماء
ما خاب من استشار ولا ندم من استخار وقال صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت اخلاقهم ... من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل وادٍ قلبه ... فيرى الصواب بما يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد ... يخفى عليه من الامور الاوفق
فهناك يشعب ما تفاقم صدعه ... ويداك ترتق كل امر مفتق
واذا استشرت ذوى العقول فخيرهم ... عند المشورة من يحن ويشفق

وكان يقال نصف عقلك مع اخيك فاستشره وكان
يقال ما استنبط الصواب بمثل المشوره ولا خصبت النعم
بمثل المساواه ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر وكان يقال

لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأى بالتفرد به
وقيل شاور قبل ان تقدم وقال عبد الملك بن مروان
لان اخطئ وقد استشرت احب الى من ان اصيب وقد استبد
برأيي من غير مشورة وقال سليمان بن داود عليهما السلام
لابنه لا تقطعن امرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت
ذلك لم تحزن عليه وقيل للنبي عليه السلام ما الحزم قال
ان تستشير ذا الرأى وتطيع امره وقال عليه السلام
لم يهلك امرؤ عن مشورة وقيل مكتوب فى التوراة من
ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر
والهم نصف الهرم وقال الشاعر

نصحت لذى جهل وقلت لعله ... بنصحي له من نومه يتنبه
فما نجعت فيه النصائح منجعا ... وهل يبرئ الخال من هو كمه

الباب الخمسون فى ذم المشورة

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت احدا قط
الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة
فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك
المسارب واداك فرط الاستبداد الى الخطا والفساد
وكان عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهري مثل ظفري
ولان اخطئ مع الاستبداد الف خطأ احب الى من ان ارى
بعين النقص عند المستشار

الباب الحادى والخمسون فى مدح التأنى

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية يعنى فتثبتوا وهو ابين وقال حكيم ينبغى للوالى ان يتثبت فيما نهى اليه ولا يتعجل ويتأنى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر اصدقت امركنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الله والعجلة من الشيطان ويقال الاناءة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقيل التأنى مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح وقال آخر التأنى فى الامور اول الحزم والتسرع اليها عين الجهل وقال النابغة الرفق يمن والاناة سعادة فتأن فى امر تلاق نجاحا

وقال القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

ويقال اتئد نصب اوتكد يعنى ارفق لتدرك الصواب او تقرب ان تدركه قال النبى عليه السلام من تأنى اصاب او كاد ومن تعجل اخطأ او كاد

الباب الثانى والخمسون فى ذم التأنى

كان يقال اياكم والتأنى فى الامور فان الفرص تمر مر السحاب وقال ابن عائشة القرشى الفلك احد

من ان يحتمل معه التأنى والتثبت وخير الخير اعجله ويقال الآفات فى التأخيرات وقيل لابى العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى وقال القطامى بعد قوله قد يدرك المتأنى البيت

وربما فات قوما بعض نجحهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

واحسن منه قول ابن الرومى

عيب الاناة وان كانت مباركة ان لا تخلو وان ليس الفتى العجل

وقال ابن المعتز

وان فرصة امكنت فى العدا فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلح بادئ بها مسرعا اتاك عدوك من بابها

واياك من ندم بعدها وتأميل اخرى واتى بها

وقال محمد بن بشير

كم من مضيع فرصة قد امكنت لغد وليس غده بمواتى

حتى اذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات

الباب الثالث والخمسون فى مدح الوحدة والعزلة

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء ويقال العزلة من الناس توفى العرض وتبقى الجلالة وتنشر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة فى الحقوق الواجبة وقال الشاعر

كن لقعر البيت جلسا وارض بالوحدة انسا

لستَ بالواجدِ خِلًّا او تردّ اليومَ رامسا

وانشدني ميمون بن سهل الواسطي قال انشدني لنفسه ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني

ما تطعمتُ لذةَ العيشِ حتى صرتُ في وحدتي لكتبي جليسا
انما الذلُّ في مداخلةِ النا سِ فدعها وكن كريماً رئيسا
ليس عندي شيءٌ اجلّ من العلـ ـمِ فلا ابتغي سواه انيسا

وقال مكحول ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة ومن احسن ما قيل في هذا الباب قول منصور بن اسمعيل المصري

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبعدُ عنهم سفينه
وقد نصحتُكَ فانظرْ لنفسك المسكينه

ولبعضهم

الناسُ داءٌ دفينٌ لا تركنن اليهمْ
فيهمْ خداعٌ ومكرٌ لو اطّلعتَ عليهمْ

وانشدني البستي لابي سليمان الخطابي

قد اولع الناسُ بالملاقي والمرءُ صبٌّ الى مُناهُ
وانما منهمُ صديقي من لا يراني ولا اراهُ

وله ايضاً

اذا خلوتُ صفا ذهني وعاضني خواطرٌ كطِرادِ البرقِ في الظلمِ
فان توالى صياحُ الناعقينَ علـ ـي اذى عرتني منه حكلةُ العجمِ

ومن احسن ما قيل في الانفراد قول ابي حيان

إن آمس منفردًا فالليث منفرد والبدر منفرد والسيف منفرد

وقلت في المبهج من لزم الخلوة بربه حصل في العيش الامنع والحمى الامنع وقال ابو العتاهيه

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في ذم الوحدة

قيل الوحدة وحشه والوحدة قبر الحي وفي الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين ابعد ويد الله مع الجماعه

ولحاتم الطائي وهو مما يتمثل به

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم عماة عن الاخبار خرق المكاسب

ويقال اياكم والعزلة فان في لقاء الناس معتبرًا نافعًا ومتعظًا واسعًا ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر ويقال الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وقال بعض الحكماء اياكم والخلوات فانها تفسد العقول وتخل المعقول وتعقد المحلول وقال آخر البيت رمس مالزمته والهم زمانة ما سلطته

ولابي تمام في معناه بعينه

وركد الهم كالزمانة والبيت اذا الزمته رمس

الباب الخامس والخمسون في مدح الشجاعة

فى الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية او عقرب
وكتب انوشروان الى وكلائه عليكم باهل الشجاعة
والسخاء فانهم اهل حسن الظن بالله تعالى وكان
يقال الشجاع موقى والجبان ملقى ويقال الشجاع
محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه
وقال بعض الحكماء قوة النفس ابلغ من قوة الجسد
وقال الشاعر

يفر الجبان من ابيه وامه ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

ولما قال ابو الطيب المتنبى

يرى الجبناء ان العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

قيل له انى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفى نقيض
قال هذا على بن ابى طالب رضى الله عنه وكان يقال
خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن
وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول ما ليلة
اقر لعينى من ليلة يهدى الى فيها عروس الا ليلة اعدو
فيها لقتال العدو وكان حصين بن المنذر صاحب
راية امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه يقول
ابتذال الانفس فى الحرب ابقى لها اذ الخرق فى الآجال وقيل
لعباد بن الحصين فى اى جنة تحب ان تلقى عدوك قال
فى اجل مستأخر وكان يقال ان بنى هاشم شجعاء وقريش

واسخياء قريش اجمع اهل الاسلام على انه لم يكن فارس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع من علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل لا يصدق في القتال الا ثلاثة مستهتر في دين او عير على النساء او متهم من ذل

الباب السادس والخمسون في ذم الشجاعة

قيل انه روى عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف في الحرب واستعد للهرب فقيل له نراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا ما بلغت هذا السن وقيل ما في الدنيا شجاع الا متهور ولا جبان الا متحرز وقال بعض الحكماء من اراد السلامة فليدع الشجاعة وقال آخر يقال فر اخزاه الله خير من قتل رحمه الله هو كقولهم رهبوت خير من رحموت ومن ذلك ما حكي ان الخليفة المنصور ظهر عليه في بعض الغزوات علج فقال من برز لهذا وكفانيه مؤنته اعطيته عشرة آلاف فطمع في ذلك ابو دلامة فبرز اليه فلما رأى منه ما لا طاقة له به ادهمه وهرب فقيل هرب ابو دلامة من خصمه فبلغ الخليفة فقال هرب قاتله الله فقال ابو دلامة قاتله الله احسن عندي من مات رحمه الله ويقال الفرار في وقته ظفر وقال محمد بن ابي حمزة العقيلي مولاهم

الا نصبا ظلت تشجعني هند وقد علمت ... ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذي حج الحجيج له ... لا يشتهي الموت عندي من له ادب

وهذا احسن ما قيل في مدح الجبن وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس

الباب السابع والخمسون فى مدح الجود

فى الخبر انّ الله تبارك وتعالى يحبّ الجواد لانه جواد كريم
وفيه ايضًا الجودُ من اخلاق اهل الجنّة ويقال الجود غاية الزهد
والزهد غاية الجود وقال غيره الجودُ ان تكونَ بمالك متبرّعا
وعن مال غيرك متورّعا وقال على بن عبد الله الناس فى الدنيا
الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القسرىّ
يقول تنافسوا فى المغارم وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود
حمدًا ولا تكتسبوا بالمال ذمًّا ولا تعدوا بمعروف فلم تجحدوه واعلموا
انّ حوائج النّاس نعمة من الله عليكم فلا تملّوها فتعود نقما وقال الشاعر
لا تزهدنّ فى اصطناع العرف تفعله انّ الذى يحرم المعروف محروم

آخر من غير الكتاب الاصلى

ستلقى الذى قدمت للنفس محضرا فانت بما تأتى من الخير اسعد

ولبعضهم

وكم قد رأينا من فروع كثيرة تموت اذا الرّحيمن اصوله
ولم ار كالمعروف امّا مذاقه فحلو وامّا وجهه فجميل
وقال طلحة بن عبد الله انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنّا
نصبر وقال العتابىّ من منع الحمد ماله ورثه من لا يحمد عليه
وكان يقال ربّ فاجر فى دينه احرق فى معيشته دخل الجنّة بسماحته
وقال العتابىّ ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبّة ومكافأة
وثواب البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان وكتب الحسن بن على الى اخيه

رضى الله عنهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فاجابه
خير المال ما وقى به العرض وقال غيره الجود اشرف
الاخلاق وانفس الاعلاق وقال ابن المعتز الجود
حارس النفس من الذم وقال آخر الاسخياء يعبدهم
المال والبخلاء يعبدونه وقال بعض السلف
لو كان شئ يشبه الربوبية لقلت الجود ويقال من
جاد ساد ومن بخل رذل وقال عمر رضى الله عنه
السيد الجواد حين يسأل وقال ابو نواس
انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك

ولبعضهم

يا غافلا عن حركات الفلك نبهك الله فما اغفلك
مالك للغير اذا صنته وكل ما انفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لاموه على الكرم

مالى على حرام ان بخلت به وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالى اشح بمال لست املكه والمال بعدى اذا ما متّ مقسوم
لا بارك الله فى مال اخلفه للوارثين وعرضى فيه مشتوم

ولبعضهم

مات الكرام وولّوا وانقضوا ومضوا ومات فى اثرهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه لو عاينوا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

وفى كتاب عيون الآداب روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال اشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك

ومواساة الاخ فى ماله وذكر الله على كل حال وقال بعض العلماء من ايقن بالخلف جاد بالعطية اتى النبى صلى الله عليه وسلم باسارى فامر بقتلهم وافرد رجلا منهم فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا افرد من بينهم فقال نزل على جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه وقال بعض الانبياء لابليس من احب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن ابغض الناس اليك فقال فاسق سخى قال كيف ذلك قال لانى لا ارجو ان يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن ان يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فينجيه به ويرحمه

الباب الثامن والخمسون فى ذم الجود

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بما لا قوام له الا به وكان ابو الاسود الدؤلى يقول لا تجاودوا الله فانه اجود واجد ولو شاء ان يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لو جدنا على المساكين باعطائهم ما يسألوننا لكنا اسوأ حالا منهم وكان على بن الجهم يقول من وهب المال فى عمله فهو احمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه وهو جائر سلطانه او ميراث لم يتعب فيه فهو محذور

ومن وهبه من كسبه وما استفاد بحيلة فهو المطبوع على
البخل وقال محمد بن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه
لا يليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم في ذلك
فافتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه وكان ابن المقفع
يقول ان مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوي الحق
ومن احسن ما قيل في تحسين البخل قول ابن المعتز

يا رب جود جر فقر امرئ ... فقام للناس مقام الدليل
فاشدد عرى مالك واستبقه ... فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول ابي الفتح البستي

اشفق على الدرهم والعين ... تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين

وقول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر شعر

في كل شيء سرف يكره ... حتى في الكرم
ولربما الفي لا ... افضل من الف نعم

وكان الكندي يقول قولا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

الباب التاسع والخمسون في مدح البخل

من امثال العرب الشحيح اعذر من الظالم ومن امثال
العجم منع للجميع ارضى للجميع وقال بعضهم عجبت
لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر
حفظ ما في يدك خير من طلب الفضل من ايدي الناس

وقال

وقال صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل

وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال للتلمس

لحفظ المال خير من بغاه وسعي في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

ومما يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب

ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

الباب الستون في ذم البخل

قال الشعبي ما افلح بخيل قط اما سمعتم قول الله تعالى

ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال

المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبي بلغني انك متلاف فقال

يا امير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول

وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويقال

البخيل ابدا ذليل ويقال لا مروءة لبخيل ويقال شر

اخلاق الرجال البخل والجبن وهما من اخلاق النساء

وقال الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها

سوء الظن بالله وقال غيره البخل يهدم مباني الكرم

وقال ابن المعتز بشر مال البخيل بحارث او وارث

وقال ايضا البخل اناس بماله اجودهم بعرضه

وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود لا عجب عندى من بخله

ومن امثال العرب هو يحسد ان يفضل ويزهد ان يفضل

ومن قولهم هو يمنع درّه ودرّ غيره ويحسد ان يعطى

ويزهد ان يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل باخلاً بخيره لكنّ من مَنّ بخير غيره

وقال الشاعر

لا يسود امرؤ بخيل ولو مسّ بيافوخه عنان السما

وقال بعض السلف لو لم ينطق القرآن فى ذم البخل

الا بقوله ولا تحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

هو خيرًا لهم بل هو شرّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة

لكفى وهو ابلغ البلاغ فى تهجينه وانهى النهى عن ايثاره

وقال الله تعالى فيمن يبخل ويأمر بالبخل الذين يبخلون

ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله

قال ابن مسعود سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيمة

قال يطوّق بثعبانٍ فينقر رأسه ثم ينطوى فى عنقه

فيقول انا مالك الذى بخلت بى وقال بعضهم

قد ذمّ الله من يمنع خيره ويأمر بالبخل غيره فاياك ان تكون هو

الباب الحادى والستون فى مدح الحقد

قال يحيى بن خالد البرمكى لعبد الملك بن صالح الهاشمى

فى كلام جرى بينهما انت حقود فقال ان كنت تريد بقاء الخير

والشرّ عندى فانا كذلك ويُقال انه قال له انا نرى آ
تجمع الخير والشرّ فقال يحيى هذا والله جبلّ قريش وما رايتُ
احدًا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا وقد اخذ معناه
ابن الرومىّ وزاد فيه وحسّنه فقال

وما الحقد الا نوم ما لشكر للفتى وبعض السجايا ينتسبن الى البعض
اذا الارض ادّت ربع ما انت زارع من البذر فيها فهى ناهيك من ارض

الباب الثانى والستون فى ذمّ الحقد

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اعظم الذنوب عند الله
الحسد والحاسد مضادّ لنعمة الله خارج عن امر الله تارك
لعهد الله وقال الله عزّ وجلّ ومن شرّ حاسدٍ اذا حسد
وامر رسول الله ان يستعيذ به من شرّه وقال معاوية
رحمة الله عليه كلّ انسان اقدر انا ارضيه الا حاسد نعمة فانه
لا يرضيه الا زوالها وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيتُ
ظالمًا اشبه بمظلوم من حاسد نِعَمٍ دائمٍ ونَفَسٍ متتابع

وقال الشاعر

انّ الحسود المظلوم فى كربٍ يخاله من يراه مظلوما
من نَفَسٍ دائم على نَفَسٍ يُظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام انشدنى ابو منصور القوشنجى
لنفسه فى هذا المعنى

فلو ايقود سعيدُ جيشًا لهم ويسود

وكيف ذاك وانى وهو الحقود الحسود
ولا يسود حسود ولا يقود حقود

وكان يقال الحقد داء دوى ويقال من كثر حقده دوى قلبه ويقال الحقد مفتاح كل شر ويقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ويقال الحقود والحسود لا يسودان وقال آخر

لما عفوت ولم احقد على احد ارحت نفسى من غم العداوات

ويقال لا يوجد الجهول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحريص ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان وقال بعض الحكماء وجدت اول الاشياء منفعة واضرها فى العاقبة الحاجة ووجدت انكر العيش عيش الحسود وقال الشاعر

لا يحزننك فقر ان عراك ولا تتبع اخاك فى مال له حسدا
فانه فى رخاء فى معيشته وانت تلقى بذاك الهم والنكدا

وقال آخر

اذا ما المرء كان لنا حسودا فاف لذاك من باغ حسود

الباب الثالث والستون فى مدح الحياء

مما ادرك الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه ايضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت

وقال الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا وابيك ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
وفى الخبر ان الله يحب الحيى المتعفف ويبغض الوقح
الملحف وقال الحكيم الحياء سبب كل جميل ويقال
من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه ويقال
الحياء والايمان مقرونان فى قرن فاذا ارتفع احدهما ارتفع
الآخر وقيل لبنت ارسطاطاليس ما احسن ما فى المرأة
قالت الحمرة التى تعلو وجهها من الحياء وقال بعضهم
اكثر الناس حياء من كان الذم اشد عليه من الفقر

الباب الرابع والستون فى ذم الحياء

كان يقال الحياء يمنع الرزق وفى امثال العامة
من استحيا من ابنة عمه يولد له فى الآخرة وقال على
رضى الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان وقال بعض
المجربين استعينوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام
وقال غيره هذا زمان نكد عسير ليس الوقح المبرم
ينجح فيه فكيف الحى المخفف ويروى هذا زمان
نكد لا ينجح فيه الوقح المتكفف فكيف الحى المتعفف
وقال الشاعر

ليس للحاجات الا من له وجه وقاح
ولسان ذو فضول وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما املاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته
الى آخر الباب وقال ابو القاسم الحريش

سألت زماني وهو بالجهل عالم وبالسخف محتف وبالنقص مختص
فقلت له كيف الطريق الى الغنى فقال طريقان الوقاحة والنقص

ومما سمع منه ايضا قال الوقاحة كالقداحة بها
يستنفز زلهب ويشتعل حطب

الباب الخامس والستون في مدح الاخوان والاصحاب

في الخبر المرء كثير بأخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال
بلا يمين ويقال من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقيل
اعجز الناس من فرط في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من
ظفر به منهم وقال المغيرة بن شعبة التارك للاخوان
متروك وقال شبيب بن شيبة عليك بالاخوان فانهم
زينة في الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم عماد اذا استنجدتهم وظهير
وما بكثير الفخل وصاحب وان عدوا واحدا لكثير

وقال اسماعيل بن صبيح الود اعطف من الرحم وقال
العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب وقال ابن عائشة
القرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد
ابن مسلم ان في لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليمان
ابن وهب غزل المودة ارق من غزل الصبابة والتفنن بالصديق

آنسُ منها بالعشيق وقال يونس النحوي يستحسن
الصبر عن كل احدٍ الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف
من اكثر من اصدقائه ركب اعناق اعدائه وقال القطامي
واذا تصبك من الحوادث مخنة فالجأ بها نحو الصديق الاوثق
وقال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك
وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء
وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه ابدًا
والدواء يحتاج اليه احيانًا والداء لا يحتاج اليه بحال ٭
وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة
وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقاة الذخائر

وقال ابو تمام

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة واخوتي اسوة عندي واخواني
عصابة جاورت آدابهم ادبي فهم وان فرقوا في الارض جيراني
ارواحنا في مكان واحد وغدت ابداننا بشآمٍ او خراسان

وقلت في المنهج الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العين
ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه المتدين
عمدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته
ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد اقرب من لهم الولاد
ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل ومنه ليس للصديق اذا حضر
عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليدين

تستعين باليد والعين بالعين ومنه لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الممات ومنه لاتساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات ومنه استروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان ومنه الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم في معنى هذا الباب

ما ضاع من كان له صاحب ... يقدر ان يصلح من شانه
فانما الدنيا بسكانها ... وانما المرء باخوانه

الباب السادس والستون في ذم الاخوان والاصحاب

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعني في قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال ابراهيم ابن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار وقال الكندي لابنه يا بني الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا احتاجوا اليك ثلبوك وسلبوك وكان بعضهم يقول في دعائه اللهم احرسني من اصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال اقدر على الاحتراس من اعدائي ولا اقدر على الاحتراس من اصدقائي وقال ابن المعتز اصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال ايضا انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان وينتفع بهم في كافة الاحوال والا فعلى الصداقة الدمار وما ارجوه منها

اذا كانت تنقطع في الآخرة ولا تتصل بالاحبة في الدنيا

وقال ابو العتاهيه

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه ساعة مجك فوه

وقال ابراهيم بن العباس

نعم الزمان زماني الشان في الاخوان
فيمن رماني لما رأى الزمان رماني
لو قيل لي خذ امانا من اعظم الحدثان
لما طلبت امانا الا من الاخوان

وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وللامام الشافعي رضي الله عنه

صديقك من يعادي من تعادي بطول الدهر ما سجع الحمام
ويوفي الدين عنك بغير مطل ولم يمنن به ابدا دوام
فان صافى صديقك من تعادى ويفرح حين ترشقك السهام
فذاك هو العدو بغير شك تجنبه فصحبته حرام
فانا قد سمعنا بيت شعر مشيبه الدر زينه النظام
اذا والى صديقك من تعادى فقد عاداك واتصل الكلام

ولبعضهم

وانت اخي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت بقيت لا اخا ليا

وقال ابن المعتز

وافردني عن الاخوان علمي ... بهم فبقيت مهجور النواحي
اذا ما قل وفري قل مدحي ... فان اثريت عادوا في امتداحي
فكم ذم لهم في جنب مدح ... وجد بين اثناء المزاح

وقال آخر

آخ من شئت ثم رم منه شيئاً ... تلق من دون ما اردت الترابا

وعن المتنبي

صديقك انت لا من قلت خلي ... وان كثر التجمل والكلام

ومن غير الكتاب

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق ... فكان اخبر بالمضرة

وقال آخر

تحذر من صديقك كل يوم ... ربما الاشرار لاتركن اليه
سلمت من العدو فما دهاني ... سوى من كان معتمدي عليه

وقال بعض الحكماء لاينفع العلاج في اربعة العداوة اذا خالطها الحسد والمرض اذا خالطه الهرم والفقر اذا خالطه الكسل والشح اذا خالطه الكبر ونظم ذلك فقلت

ليس العلاج بنافع في اربع ... ووجودها في المرء من احد الكبر
الضعف مع هرم تراه مخالطا ... والشح ان وافى على زمن الكبر
وكذا العداوة من حسود غادر ... والفقر في كسل وقيت من الضرر

وقال آخر

الا انّ اخوانى الّذين عهدتهم ... افاعى رمال ما تقصّر فى نسعى
ظننت بهم خيرًا فلمّا بلوتهم ... حلَلْتُ بوادٍ منهم غير ذى زرع

ولبعضهم

صديق يفدّينا اذا كان حاضرًا ... ويوسعنا فى حال غيبته لسعًا
له لطف قول دونه كلّ رقيةٍ ... ولكنّه فى فعله حيّة تسعى

الباب السّابع والسّتّون فى مدح المزاح

كان النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم يمزح ولا يقول الّا حقًّا وكان العبّاس رضى الله عنه يقول مزح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصار المزاح سنّة ومن مزاحه عليه السّلام انّه كسى امرأة من نسائه ثوبًا فقال البسيه واحمدى الله وجرّى ثوب العروس وقيل لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنّه ولكنّ الشّأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه وكان علىّ رضى الله عنه يقول انّ فيه دعابة وكان يقال المزح فى الكلام كالملح فى الطّعام وقد نظمه ابو الفتح البستىّ فقال

اذا طبعك المكدود بالمرّة قليلًا وعلّله بشئ من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطى الطّعام من الملح

ويقال الافراط فى المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتّقصير فيه ندامة وقال عطاء بن السّايب كان سعيد بن جبير لا يقصّ علينا الّا بكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه وقال المتنبّى

ولما صار ود الناس خبًّا جريت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه لعلمي انه بعض الانام
فحب العاقلين على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لامزح ولا اقول الا حقا

وقال الشاعر

ان المزاح يذهب الضغينه ويحمل الضغن في الحشا مونه

الباب الثامن والستون في ذم المزاح

قال بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابه ويورث الضغينة او المهانه وقال بعضهم المزاح سباب التركي وقال بعضهم المزاح هو السباب الاصغر وقال آخر المزاح يجلب الشر صغيره والحرب كبيره وقال آخر لو كان المزاح فعلا لم ينتج الا شرا ويقال المزاح اوله فرح وآخره ترح وخير المزاح لا يسال وشره لا يقال وقل مزاح ليحدث شرا او ضغينه وقال ان المعتز المزاح يأكل الهيبه كما تأكل النار الحطب وقال ايضا من كثر مزاحه لم يزل في استخفاف به وحقد عليه وقال ايضا رب مزح في مودة جد وقال ابو نواس

قد صارت الناس جدا ما مزحت به كم مازح صار بين الناس مذموما

وقال ايضا اى نادر قدح القادح واى جد بلغ المازح ويقال لكل شئ بذره وبذره المزاح وقال سالم

ابن قتيبة لاهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدنى اخلاقكم ولا ترحلوا ليس دروبكم اكفاءكم وقال الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف بنفسه وقال الشاعر

اما المزاح والمراء فزعمتما خلقان لا ارضاهما لصديق

وقال آخر

ان المزاح للجلال مسلبه والضحك ايضا للبهاء مذهبه

الباب التاسع والستون في مدح العتاب

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس هو بحافظ للخلة وقال الشاعر

عاتبكم يا آل عمرو لحبكم الا انما المقلى من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقد قل عتابه وقال الشاعر

ترك العتاب اذا استحق اخ منك العتاب ذريعة الهجر

ويقال

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

وقال آخر

ابلغ ابا جعفر عني معاتبة وفي العتاب حياة بين اقوام

الباب السبعون في ذم العتاب

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة

وقال بعض البلغاء مثل العتاب مثل الدواء ينتفى به علة عارض الصدور ويشفى بمكانه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضه وتنوفل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دويا وصار موتا بيد القطيعة وحيا

وقال آخر كثرة العتاب داعية الاجتناب

وقال الشاعر

ان بعض العتاب يدعو الى الحقد ويؤذى به المحب الحبيبا
فاذا ما القلوب لم تضمر السو د فلن يعطف العتاب قلوبا

وقال آخر

فدع العتاب فربّ شرّ هاج اوّله العتاب

وقال آخر

اذا ما كنت منكرا كلّ ذنب ولم تجلل اخاك عن العتاب
تباعد من تعاتبه بعدا قريبا وصار به الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك لادنى سبب واخفى شئ يتعلق به الظنّ فانّ ذلك يدلّ على ضعف ثقتك به ووهن مودّتك له وكفى بما قاله بشّار بن برد واعظا من العتاب.

اذا كنت في كلّ الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرّة ومجانبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

الباب الحادى والسبعون فى مدح الحجاب

احسن ما قيل فى الحجاب قول ابى تمام

يا ايها الملك النائى برؤيته ... وجوده لمرامى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص منك لى املى ... ان السماء ترجى حين تحتجب

ولبعضهم

له حاجب عن كل امر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

وقال ابن نباتة السعدى

ولو كان الحجاب بغير نفع ... لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم لملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وابهة الملوك فى الاحتجاب

وقال آخر المبذول مملول والممنوع متبوع وقد احسن ابن المعتز فى قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللوامح

وقال ابو جعفر العتبى للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهرا للعيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

الباب الثانى والسبعون فى ذم الحجاب

احسن ما قيل فى ذم الحجاب قول بعض العصريين شعر

ليس الحجاب بآلة الاشراف ان الحجاب مجانبُ الانصاف
ولقلّ ما يأتي فيحجب مرّة فيعود ثانية بقلب صافي

وقال محمد بن عبد الله بن ابي قتيبة

انّي اتيتك للسّلام وَلَمْ اَنقل اليك لغير ذا رجلي
فحجبت دونك مرتين وقد تشدّد واحدٌ على مثلي

ولبعضهم

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

وقال آخر في ذمّ حاجب

سأترك بابَ من انت تملك اذنه ولو كنت اعمى عن جميع المسالك
ولو كنت بوّاب الجنان تركتها وحوّلت وجهي متجها نحو مالك

ولآخر

ماذا على بوّاب بابكم الذي لا الاذن يعطينا ولا يستأذن
لو ردّنا ردًّا جميلًا عنكم او كان يدفع بالتي هي احسن

وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول لحاجبه اذا اطرقت مجلسي فلا تحجبنّ احدًا عنّي فانّ الوالي يحجب لثلاث اشياء عيّ يكره ان يطّلع عليه او ريبة يخاف انتشارها او بخل يكره ان يُسأل معه شيئًا وكانت العجم تقول لملوكها ما شيء باضيع للملك من شدّة احتجاب الملوك ولا شيء ابعث للحند والرعيّة وانقض للعظيم عن العظيم من سهولته وقال ابو العتاهية

متى يبلغ الوافدُ اليك لحاجةٍ ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقال المتنبّي

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب

الباب الثالث والسبعون في مدح الزيارة

في الخبر من زار اخا او عاد مريضا نادى منادٍ من السماء ان طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ويقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين واصلح بين اثنين وامش ثلاثة اميال وزر صديقا في الله عز وجل ويقال الزيارة عمارة المودة ونظرة الخلة وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك ولك الفضل زائرا ومزورا

وقال الشاعر

ازور محمدا فاذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم اله ولم يلمني وقد رضي الضمير عن الضمير

وقلت في المنهج من زار صديقه الذي يفضي اليه بسره فقد لقي السرور باسره وخرج عن عقال الهم وامره وفيه زيارة الصديق تترك الهم مطردا والانس مطردا وفيه في زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

الباب الرابع والسبعون في ذم الزيارة

في الخبر زر غبا تزدد حبا ويقال ثقل الزيارة امان من الملالة وينشد

انى كثرت عليه فى زيارته فقل والشئ مملول اذا كثرا
ورابنى منه انى لا ازال ارى فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

وقال كشاجم

قد قلت لما ان شكت تركى زيارتها خلوب
ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

وقال منصور الفقيه

كثرت عليه فاملته وكل كثير عدو الطبيعه

وقال آخر

اقلل زيارتك الحبيب تكون كاثوب استجد
ان الصديق يمله ان لا يزال يراك عنده

واحسن من هذا قول الآخر

عليك باقلال الزيارة انها اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
الم تران القطر يسأم دائما ويسأل بالايدى اذا هو امسكا

واحسن ما قيل فيه قول الآخر

اقلل زيارة من تهوى مودته فالناس من لم يواسيهم اجلوه
فالغيث وهو حياة الناس كلهم ان دام اكثر من يومين ملوه

الباب الخامس والسبعون فى مدح النساء

قال النبى صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقال عليه السلام تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك

ثم قال عليه السلام ما افاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات
دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه في نفسه
ومماله اذا غاب عنها وقال مسلمة بن عبد الله المرأة
الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه ويقال قر متاع
الدنيا لعين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب ويقال
من لم تحسنه نساؤه تكلم بملء فيه ويقال خير النساء الودود
الولود العقود وقال بعض العرب خير النساء الحيية
البينة النقية النقية التي تعين زوجها على الدهر ولا تعين
الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة
احدى الحسنيين ويقال اعون الاعوان على المعيشة
المرأة الصالحة ويقال الانسان لا يسكن الى شئ كسكونه
الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم
عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس
بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم ان الرجل
لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته الموافقة المواتية له لان الله
عز اسمه يقول ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء
ولذلك يهجر الرجل والديه واولاده ومن دونهم بسبب زوجته
ولذلك لا يهتم احد لاحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها في
شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم امر منزل الرجل ومروءته

الا بحرة شفيقة رفيقة صالحة عفيفة والا اختلت اموره
واضطربت اسبابه وقال خالد بن صفوان لرجل اطلب
لى بكرا كثيبا او ثيبا كبرا لاضرعا صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد
عاشت فى نعمه واذركتها حاجه فخلق النعمة فيها وذل الحاجة
معها ومن احسن ما قيل فيهن قول الشاعر

ونحن بنوا الدنيا وهن بناتها وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها

وقول الآخر

ان النساء رياحين خلقن لنا وكلنا نشتهى شم الرياحين

الباب السادس والسبعون فى ذم النساء

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء انهن ناقصات
العقل والدين وقال عليه السلام شاوروهن وخالفوهن
فان البركة فى خلافهن وقال عمر رضى الله عنه استعيذوا
بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ويقال
النساء حبائل الشيطان ويقال اعص هواك والنساء
واطع من شئت سواء وقال النبى عليه السلام ما تركت بعدى
فتنة اضر بالرجال من النساء وعنه عليه السلام خلقت المرأة
من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها
كسرتها وقال الشاعر على هذا

هى الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها
وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى وهذا يجيب ضعفها واقتدارها

obeikandl.com

وقيل ان كيد النساء اعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله عز وجل ان كيدكن
عظيم عظيم وقال بعض الحكماء لاينبغي للعاقل ان يمدح
امرأته الا بعد موتها وقال بعضهم

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن اصل البليات التي ظهرت بين البرية في الدنيا وفي الدين

وكان المأمون يقول النساء شر كلهن ومن اشر ما فيهن
قلة الاستغناء عنهن وقال بعضهم المرأة الصالحة
مثل فتيل يضعه الله في عنق من يشاء من عباده ويفكه ممن
يشاء وكان يقال من التوائل امرأة ان حضرتها سبتك
وان غبت عنها لم تأمنها وقال بعض الحكماء اضر الاشياء
بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء وينبغي لكل من يبتلى
بهن انه لايقتصر على ما عنده ويطمح الى ما ليس له وقال
بعضهم من يحصي مساوئ النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة
البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لاتصلي
ولاتصوم ايام حيضها ولايسلم عليها وليس عليهن جمعة
ولاجماعة ولايكون فيهن نبي ولا قاض ولايسافرن الا بولي
ويقال ما نهيت امرأة عن شيء قط الا اتته وفي معناه
يقول طفيل الغنوي

ان النساء كاشجار نبتن لنا منهن مر ومنهن المر ما كول

ان النساء متى ينهين عن خلق فانه واجب لابد مفعول

وقال رجاء بن حياة قال قال معاذ بن جبل انكم
تبتلون بفتنة الضراء فصبرتم وانى اخاف عليكم فتنة السراء
وان اشدها لكم عند النساء اذا تحلين بالذهب والفضة
ولبسن ريط الشام وعصب اليمن اتعبن الغنى وكلفن
الفقير مالا يقدر عليه

الباب السابع والسبعون فى مدح التزوج

قيل للحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما انك يا ابن
رسول الله منكاح مطلاق فقال لانى احب الغنى وقد سمعت
الله تعالى يقول وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت ابتغى
الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت
ابتغى الغنى ايضا وقال النبى عليه السلام لعاكف الهلا
الك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين فان
كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا
النكاح وقال بعض الصحابة عند وفاة زوجته
زوجونى زوجونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصانى
ان لا القاه اعزب وقال معاذ بن جبل لو لم يبق من عمرى
الا ليلة لاحببت ان تكون لى فيها زوجة خوف الفتنة وقال
بعض السلف لاعزب والله ما يمنعك من التزوج الا عجز او فجور
ويقال النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

الباب الثامن والسبعون في ذم التزوج

سئل بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح مشهر وغم دهر ووزن مهر ودق ظهر ويقال اذا قيل للرجل املك فقال اهلك وقال آخر الملك هو الملوك الا ان ثمنه علية وقال بعض العرب بيتاً فيه

يقولون تزوج واشهد انه هو البين الا من يشاء يكذب

ويقال قيل للعتابي انت اعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن ايسر من الصبر عليهن وقيل لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسي وفي كتاب ملح النوادر ان ذئباً كان ينتاب بعض القرى ويعبث فيها فترصدوه اهلها حتى صادوه وتشاوروا في تعذيبه وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق اسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لا بل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض الممتحنين بنسائه لا بل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا وفي هذه القصة يقول الشاعر

رب ذئب اخذوه وتمادوا في عقابه
ثم قالوا زوجوه وذروه في عذابه

الباب التاسع والسبعون في مدح الجواري

كان يقال من اراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة

وارتفاع الحشمه فعليه بالاماء دون الحرائر وكان ابن
عبد الملك يقول لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج الحرائر
ويقال السرور في اتخاذ السراري وكان اهل المدينة يكرهون
اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وسليم بن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وفاقوا اهل المدينة
فقها وعلما وورعا وما منهم الا ابن سرية فرغب الناس في اتخاذ
السراري وقال مؤلف الكتاب وليس في خلفاء بني العباس
من ابناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمتوكل واما
الباقون كلهم ابناء السراري والجواري وقد اوردت اسماء الكل
في كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانة مولانا الملك المؤيد
اعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة في اولاد
الاماء لانهم مجموعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج علي
ابن الحسين بامرولد رجل من الانصار لامه عبد الملك بن مروان
على ذلك فكتب اليه ان الله عز اسمه قد رفع بالاسلام الخسيسه
وتمم الدقيصه واكرم من اللؤم فلا عار على مسلم في سلالة
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امة واعرولد فقال
عبد الملك ان عليا يتشرف من حيث تتضع الناس وفي كتاب
بلوغ النهاية الوسيمه من النعم الجسيمه وفيه لا تتخذ السر
اية سرية قال المسعودي وذكرت في كتاب المنزع

سقيا لدهر بسروين والعيش بين السراري

اذ طير سعدى جوارٍ ... مع امتلاك الجوارى
ايام عيشى قعودى ... وقد ملكت اختيارى
اجرى بغير عذارٍ ... اجنى بغير اعتذارٍ
وعيم لهوى مطيرٌ ... وزند انسى وارى
كان خمار زرمشاه المهمام اصبح جارى
من ريب دهر خؤونٍ ... بغير ما سر جارى
ذاك المليك الذى قد ... حكت يداه السوارى
وقد حمى الدين لما ... جلاه يوم الفخار
فظل سورًا عليه ... وتارة كسوار
لا زال خمار زرمشاه ... يحوى الغنى باقتدارٍ
صدرًا بغير مبادٍ ... بدرًا بغير سرار

الباب الثمانون فى ذم الجوارى

الحسن ما سمعت فى ذم الجوارى ما انشدنى ابو الحسن المهروزدى وقال انشدنى المحبوبى المروزى قول الشاعر

اذا لم يكن فى منزل الحرة رأى ... خللًا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرقعيدة ... فهن لعمر الله شر قعائد

وكان يقال الجوارى لخبز السوق والحرائر لخبز الدور ومن امثال العرب لا تمازح امه ولا تبل على اكمه وسمعت ابا الحسن المامرخسى يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لا تفترش من تداولتها ايدى النخاسين ووقع لنا

فى الموازين ويقال لاخير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن ايدى البغاة

الباب الحادى والثمانون فى مدح العيال

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون ويقال من لا عيال له لا مروءة له وقال طلحة الطلحات لا تمتنعوا من اتخاذ العيال فلعلكم لا تدرون بمن ترزقون واعلموا ان ارزاقهم على الله ورافتهم لكم وكان يقال الكلب ومن لا عيال له بمنزلة وكان جعفر بن سليمان يقول المروءة فى سعة الحال وكثرة العيال وشكى رجل الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عيالك رزقه على غير الله فحوله الى ومما يستحسن فى ذلك لابى العتاهية

الخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله
واحبهم طرا اليه ابرهم لعياله

الباب الثانى والثمانون فى ذم العيال

كان يقال قلة العيال احد اليسارين وقال خلف ابن ايوب كم من كريم فضحته العيال وقال سفيان ابن عيينة لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم ان يكون صاحب العيال ورعا ويقال العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال ورؤى سفيان بن عيينة يوما واقفا

بباب يحيى بن خالد البرمكي فقيل له ليس هذا من مواطنك يا ابا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال افلح وكان يقول انى لاحب ممن له عيال وليس له مال كيف لا يخرج على الناس بالسيف ومن الامثال المتائرة السيارة على وجه الارض العيال سوس المال وقيل لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لا مال لكثير العيال ومن مواعظ كتاب المهج استظهر على الدهر بخفة العيال

الباب الثالث والثمانون فى مدح الولد

فى الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة ويروى عنه عليه السلام انه قال لاحد الحسنين رضى الله عنهما انك من ريحان الله عز وجل عليه السلام ولد الرجل من اطيب كسبه ويقال الولد قرة العين وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف اولادنا اكبادنا وقال الاحنف لمعاوية اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليله وسماء ظليله ان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك وقالت اعرابية وهى ترقص ولدها شعر

يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى فى البلد
اهكذا كل ولد ... ام لزيد قبلى اعد

ومما يستحسن من الفاظ الصاحب قوله فى كتاب وصل كتاب مولاى فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من صغره ان يرى كبده يمشى على الارض فليستر ولده

الباب الرابع والثمانون في ذم الولد

قال بعض حكماء العرب من سرّه بنوه ساءته نفسه وكان يحيى بن خالد يقول ما رأى احدٌ في ولده ما يحب الا رأى في نفسه ما يكره وقال ابن الرومي في معناه

كم من سرور لي بمولود له ولدا او مثله يُعدُّ
وغدا يهدّدني الزمان لن رأيتُ منّته اشدُّ
ومن العجائب ان اُسرّ بمن يشدُّ بما اُهدُّ

وقال ابن المعتز في فصوله افقرك الولد امر عاداك وفي الدعاء اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد وقيل لعيسى عليه السلام هل لك في الولد فقال ما حاجتي الى من ان عاش كدّني وان مات هدّني وقيل لبعض النسّاك مالك لا تبتغي ما كتب الله لك قال سمعًا لامر الله ولا مرحبًا بمن ان عاش فتنني وان مات احزنني يريد قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال حكيم في ذم الاولاد ملوك صغارا واعداء كبارا يريد قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم ويقال من اراد ان يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدًا وينشد لابي سهل سعيد بن عبد الله الشكلي

هذا الزمان الذي كنا نحذّره فيما يحدّث عن كعب ومسعودِ
ان دام هذا ولم يحدث به غيرٌ لم يبك ميتٌ ولم يفرح بمولودِ

وقال المتنبي

وما الدهر اهل ان يؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه لنسل ٧ ابى

وقال ابو الطيب سهل بن سهل الصعلوكى

يقولون ذكر المرء يحيى بنسله وليس له ذكر اذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلى بدائع حكمتى فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

وقال ابن المعتز

سكنتك يا دنيا برغمى مكرها وما كان لى فى ذاك صنع ولا امر

وجربت حتى قد قتلتك خبرة فانت وعاء حشوه الهم والضر

فان ارتحل يوما ادعك ذميمة وما فيك من عود ارس ولا بذر

وقيل لفيلسوف يعق والديه لم تعق والديك فقال لانهما اخرجانى الى عالم الكون والفساد وقيل لاعرابى لم اخرت التزوج الى الكبر فقال لاباد ولدى بالبتم قبل ان يسبقنى بالعقوق

وحدثنى ابو نصر سهل بن المهدى قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى ان يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فسر به غاية المسرور واحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الاطفال الى حد الرجال ولم يهمه شئ من امر الدنيا سواه ولم يدخر ممكنا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بخبر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله استغفر الله صدق الله اراد بالتهليل ان يلقى الله بالايمان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم

عدوّالكم فاحذروهم فجمع بهذه الكلمات كلّ ما يحتاج اليه فى تلك الحال

الباب الخامس والثمانون فى مدح البنات

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين فقال هذه نفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال امطها عنك قال ولم قال لانهنّ يلدن الاعداء ويقرّبن البعداء وينورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الزمان ولا اذهب جيش الاحزان مثلهن وانك لواجد خالا قد نفعه بنواخته وابا قد رفعه نسل بنيه فقال يا معاوية دخلت عليك وما على الارض شئ ابغض الىّ منهن وانى لاخرج من عندك وما عليها شئ احبّ الىّ منهنّ

وقال معن بن اوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وفيهنّ لا تكذب نساء صوالح
وفيهنّ والايام يفتكن بالفتى ... خوادر لا يملأنه وروائح

وقال العلوىّ الجمانىّ فى صديق له ولد له بنت فسخطها

قالوا له ماذا رزقت ... فأصاح ثمّ قال بنتا
واجلّ من ولد النسا ... ء ابو البنات فلم جزعتا
ان الذين تودّ من ... بين الخلائق ما استطعتا
نالوا بفضل البنت ما ... كتبوا به الاعداء كبتا

وفى رقعة الصاحب بالتهنئة بالبنت اهلا وسهلا بعقيلة النساء

وامّ الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة
باخوة يتناسقون ويجباء يتلاحقون شعـــر

فلو كان النساء كمن وجدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يا مولاى البركة فى مطلعها والسعادة
بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة
والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها
خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت
بالكواكب وحليت بالنيرالثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان
وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تنصرف الاجسام ولا
عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون
فهنيئا لك هنيئا بما اوتيت واوزعك الله شكر ما اعطيت
ونسخت رقعة لابن الفرج البيغا اتصل بى خبر المولودة
المسعودة كرم الله عرقها وابنتها بناتا حسنا وما كان من تغيرك
عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر
وقد علمت انهن اقرب من القلوب وان الله بدأ بهن فى الترتيب
فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر اولى وبحسن التقبل احرى
فهنأك الله بورود الكريمة عليك وقرنها اعداد النسل الطيب لديك

الباب السادس والثمانون فى ذم البنات

قيل لاعرابي ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف قال لا عدد اقل موالواحد ولا اخبث من بنت وكان يقال دفن البنات من المكرمات ويقال تقديم الحرم من النعم وفي الحديث المرفوع نعم الختن القبر ويروى لعبد الله بن طاهر

لكل ابي بنت اذا ما ترعرعت ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال غيره

جعلت فداك من الناشبات ومتعت ما عشت من الطيبات
سرور ان ما لهما ثالث حياة البنين وموت البنات

واصدق من ذين قول الحكيم دفن البنات من المكرمات

وكان الاستاذ الطبري يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنه وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنه وقيل ياطوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع في ميزانه الاجر

الباب السابع والثمانون في مدح الغلمان

قال مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة الا ان الله تعالى خلق ملائكته مردا واهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية وانما عنى الحديث المرفوع اهل الجنة مرد جرد مكحلون

وفي ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا باللحى ما خلق الجنة للمرد

وكان يقال الغلام هو الرفيق في السفر والقريب في الحضر
والصديق في الشدة والرخا والمعين على الشغل والنديم عند
الشرب وهو مفتاح الانس وكان يحيى بن اكثم يقول
قد اكرم الله اهل خيته بان اطاف عليهم غلمانا كانهم لؤلؤ
مكنون وولدانا مخلدين في وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله
منهم لفضلهم في الخدمة على الجواري فما الذي يمنعني عاجلا
عن طلب هذه الكرامة المخصوص بها اهل القربى عند الله والزلفى
لديه وقيل لمسلم الاصغر لم فضلت الغلام على الجارية
فقال لانه في السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفي
الخلوة اهل وقال مطيع بن اياس

من كان تعجبه الانثى ويعجبها ... من الرجال فاني شقني الذكر
فوق الخماسي لما طر شاربه ... رخص البنان خلا من حلي الشعر
لم يجف من كبر حتى يرادبه ... من الامور ولا ازرى به الصغر

وقال آخر

فديتك انما اخترناك عمدا ... لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وضل الغواني ... لضاق بنسلنا البلد العريض

وقال ابو نواس

اني امرء ابغض النعاج وقد ... يعجبني من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رايت لحيته ... فليس بيني وبينه عمل

وكتب بعضهم الى صديق له على ظهر

كتبت اليك في ظهر لعلمي ... بانا معشر نهوى الظهورا

وَانَّ الصَّيْدَ للغِزْلانِ خَيْرٌ مِنَ السَّمَكِ الَّذى يأوى البحورا

الباب الثامن والثمانون فى ذمّ الغلمان

قال بعض السّلف لا تملؤا اعينكم من المرد فانّ فتنتهم كفتنة الغوانى وترتمى عليها وقيل من أولع بحبّ الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومىّ

حُبُّكَ الغِلمانَ ما امكنَ النّسوانُ غَبَنْ
انّما يُعشَقُ فى ظهرٍ اذا ما اعوزَ بطنْ

وقال الصّابى

لحاجة المرء فى الادبار ادبارُ والمائلون الى الاخراج آحرارُ
كم من ظريفٍ نظيفٍ باتَ ممتطيًا رِدْفَ الغلامِ فاضحى وهو عطّارُ
نصفرّ اثوابه من ورسِ فتحته فيستبين لذاك الخزى والعارُ
لا يستطيع جحودًا اذ يقذّرهُ يومًا وفى ثوبه للسّلح آثارُ
كم بين ذاك ومن باتت ممتطيّته حوراء ناظرها بالغنج سحّارُ
يقوم عنها وقد اهدت له ارجًا تضوّعت من غوالى طيبه الدّارُ
ليس الغلامُ لها عِدلًا يقاس بها وهل يُماسُ بعودِ النّدِّ اقذارُ
اياكم ياثقاتى من مخالفتى فلا يحذّركم عن الاخراج احجارُ

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرفاء اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبرىّ يقول اجتماع الايرين فى لحاف واحد خطر عظيم وخطر كبير وانشد ٥

عليكَ الاناث وايثارهن ودع سيّدى عنك ذكر الذكرْ
فليسَ اللواط من الاحتياط وايران تحتَ لحاف خطرْ

الباب التاسع والثمانون فى مدح الخطّ والعذار

يقال هل يحسن الروض الّا بزهره وقال بعض البلغاء احسنُ مايكون وجه الامرد الصّبيح اذا نقش الخطّ فضّ وجهه واحرق فضّة خدّه وقال آخر خطّ الوجه الحسن كالمسك الحالّ فى القمر ومن احاسن الشعر فى معناه للصّاحب الجليل حيث قال

ان كنتَ تنكره فالبدرُ يعرفه اوكنت تظلمه فالحسنُ ينصفه
ماجاءه الشعر كى يمحو محاسنه وانما جاءه عمدًا يخلّفه

وقال ابو الفرج الببّغا

ومهفهف لمّا اكتست وجنتاه حللَ المحاسن طرّزت بعذاره
لمّا انتصرتُ على عظيم جفائه بالقلب صار القلبُ من انصاره

وقال ابو نواس

قد كان بدرُ السّماء حسنًا والناسُ فى حبّه سواءُ
فزاده ربّه عذارًا تمّ به الحسنُ والبهاءُ
لاتعجبوا ربّنا قديرٌ يزيدُ فى الخلق مايشاءُ

وقال ايضًا

من اين للرّشإ الغرير الاحورِ فى الخدّ مثل عذاره المتحدّرِ
قمرٌ كأنّ بعارضيه كلاهما مسكًا تناسقَ فوقَ وردٍ اَحمرِ

وقال الشهابُ الحجازى

ومهفهف الحاظه وعذاره يتعاضدان على فناء الناسِ
سفك الدماء بصارمٍ من نرجسٍ كانت حمائل غمده من آسِ

وقال آخر

وخطٌّ تمّ في حافاتِ خدٍّ له في كلّ يومٍ الفُ عاشقْ
كان الريح قد مرّت بمسكٍ وذرّت ماحوته على الشقايقْ

الباب التسعون في ذمّ الخطّ والعذار

قال بعض البلغاء اذا اخضلّ الغلام استحال نورُ خدّه دُجا وزهرُ خطّه سَبَجا ويقال عيبُ العذار ان يكسف الهلال ويعيل الحال ويسخ الجمال وينقص الكمال وقال الشاعر

قلت لما تشوكت وجنتاهُ وازال الظلامُ ضوءَ نهارِهْ
اىّ شئ هذا فقال مجيبًا كلّ من مات سوّدوا باب دارِهْ

وقال التوخىّ

قلتُ لاصحابى وقد مرّ بى متنقبًا بعد الضيا بالظلمْ
بالله يا اهلْ ودّى قفوا كى نبصر واكيف تزول النعمْ

وقال بعض العصريّين

اخنى عليه الشهرُ والدهر ومحا محاسنَ وجهه الشعرُ
ومن يصِفْ ماقد دهاهُ يقل لاتعجبوا قد يكسف البدرُ

وقال آخر

ما يفعل الله باليهود ولا بعادٍ ولا ثمود
ولا بابليسَ اذ تأبّى يوم دعاه الى السجودْ

ولا بفرعون اذ تعدّى مَا يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد للفدى كالبدر فى ليلة السعود
اذ غمر الشعر عارضيه فصار قردًا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

الباب الحادى والتسعون فى مدح المماليك

يقال العبد من لا عبد له ويقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال بعض النسابة فى المماليك هم عز مستفاد وفى اكباد الاعداء اوتاد وقال سعيد بن سالم لا بدّ للعبد من عبد وكان يقال الاحسان الى العبيد مرضاة للربّ ومسخطة للعدوّ وكان جعفر بن سليمان يقول فى العبيد ان اكلوا من مالك زادوا فى جمالك ويقال العيش فى سعة الدار والعزّ فى كثرة العبيد وقال آخر عزّ الملوك فى كثرة المملوك وقال آخر ربّ عبدٍ خير من ولد لان الولد فى اكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه فى موت ابيه والعبد يرى صلاحه فى بقاء سيّده واحسن ما سمعت فى وصف مملوك ومدحه قول ابى عثمان الخالدىّ فى شأن غلامه حيث قال

مَا هُوَ عبد ولكنّه ولدٌ خوّلنيه المهيمن الصمدُ
وشدّ آزرى بحسن خدمته فهو يدى والذراع والعضدُ
صغير سنٍّ كبير منفعةٍ تمازج الضعف فيه والجلدُ
فى سنّ بدر الدجا وصورته فمثله يصطفى ويعتقدُ

مُعَشِّقُ الطَّرْفِ كُحْلُهُ كَحَلٌ ... مُعَطِّلُ الجِيدِ حَلْيُهُ الجَيَدُ
وَوَرْدُ خَدَّيْهِ وَالشَّقَائِقُ وَالـ ... ـتُّفَّاحُ وَالجُلَّنَارُ مُنْتَضَدُ
رِيَاضُ حُسْنٍ زَوَاهِرٌ أَبَدًا ... فِيهِنَّ مَاءُ النَّعِيمِ مُطَّرِدُ
وَغُصْنُ بَانٍ إِذَا بَدَا وَإِذَا ... شَدَا فَقُمْرِيُّ بَانَةٍ غَرِدُ
مُبَارَكُ الوَجْهِ مُذْ حُظِيتُ بِهِ ... بِالِي رَخِيٌّ وَعَيْشَتِي رَغَدُ
أَنِيسِي وَلَهْوِي وَكُلُّ مَأْرَبَتِي ... مُجْتَمِعٌ فِيهِ لِي وَمُنْفَرِدُ
مُسَامِرِي إِنْ دَجَا الظَّلَامُ فَلِي ... مِنْهُ حَدِيثٌ كَأَنَّهُ الشَّهَدُ
ظَرِيفُ مَدْحٍ مَلِيحُ نَادِرَةٍ ... جَوْهَرُ حُسْنٍ شَرَارُهُ يَقِدُ
خَازِنُ مَا فِي دَارِي وَحَافِظُهُ ... فَلَيْسَ شَيْءٌ لَدَيَّ مُفْتَقَدُ
وَمُنْفِقٌ مُشْفِقٌ إِذَا أَنَا أَسْـ ... ـرَفْتُ وَبَذَّرْتُ فَهْوَ مُقْتَصِدُ
يَصُونُ كُتْبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ ... يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُدُدُ
وَأَبْصَرُ النَّاسِ بِالطِّبِيخِ فَكَا ... فُورُ القَلَايَا وَالعَنْبَرُ النَّدُ
وَهْوَ يُدِيرُ المُدَامَ إِمَّا أَنْ جُلِيَتْ ... عَرُوسُ بِكْرٍ نِقَابُهَا الزَّبَدُ
يَمْخُ كَاسِي يَدًا أَنَامِلُهَا ... تَخْلُو مِنَ لِينِهَا وَتَنْعَقِدُ
مُهَفْهَفٌ كَيِّسٌ فَلَا عَوَجٌ ... فِي بَعْضِ أَخْلَاقِهِ وَلَا أَوَدُ
وَيَعْرِفُ الشِّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي ... وَهْوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ
وَصَيْرَفِي لِلْقَرِيضِ وَزَّانُ دِي ... نَارِ المَعَانِي الدِّقَاقِ مُنْتَقِدُ
وَكَاتِبٌ تَوْجَدُ البَلَاغَةُ فِي ... أَلْفَاظِهِ وَالصَّوَابُ وَالرَّشَدُ
وَوَاجِدٌ بِي مِنَ المَحَبَّةِ وَالـ ... ـرَّأْفَةِ أَضْعَافُ مَا بِهِ أَجِدُ
إِذَا تَبَسَّمْتُ فَهْوَ مُبْتَهِجٌ ... وَإِنْ تَنَمَّرْتُ فَهْوَ مُرْتَعِدُ
ذَا بَعْضُ أَوْصَافِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ ... لَهُ صِفَاتٌ لَا يَحْوِهَا أَحَدُ

الباب الثانى والتسعون فى ذم المماليك

من امثال العرب ليس عبدك باخ لك ومنها الحر يعطى والعبد يأبى لو قتله ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در ومن الامثال ما اطيب الغنى لولا العبيد والاما وقال ابن مفرغ الحميرى

العبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الملامه

وقال يزيد بن محمد المهلبى شعر

ان العبيد اذا اذللتهم صلحوا على الهوان وان اكرمتهم فسدوا
ما عند عبد لمن يرجوه من فرج ولا على العبد عند الخوف معتمد
فاجعل عبيدك اوتادا تشبحها لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

وفى الخبر اشتروهم صغارا وبيعوهم كبارا وقال بشار الحر يلحى اى يلام والعصى للعبد وقال السعيد بن محمد الحميرى

وان الحر فى الحالات حر وان الذل يقرن بالعبيد

وقال المتنبى

العبد ليس لحر صالح باخ لو انه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصى معه ان العبيد لانجاس مناكيد

وسئل بعضهم عن غلام له فقال ياكل فرها ويعمل كرها

وقال ابن الرومى

لى خادم لا ازال احبسه يغيب حتى يرده سفره
نرسله لاشتراء فاكهة فقصر ان نجيئنا كتبه

حكم قال ضيفني لما ان بعثت به هيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قد سما الى كرم رضوان كي يجتني له عنبه
وانما زار مالكا فرأى زقوم مصدق فظل ينتخبه
هل مشتر والسعيد بائعه او قابل والسعيد من يهبه
اضر بالمسلمين جالبه لا كان من جالب ولا جلبه

ومثله قول راشد الكاتب في ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خبيسا

بعنا خبيسا فلم يحزن له احد وغاب عنا فغاب الهم والنكد
اهون به خارجا من بين اظهرنا لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره دعاء من في استه النيران تقد

وقال فيه ايضا

عرضنا خبيسا فاحتمى كل تاجر شراه واعى ببيعه كل دلال
وما بات في قوم يحبون قربه فاصبح الا والمحب له قالي
فما في يديه خدمة يشتهى لها ولا عنده معنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معائب اهله وان اصبحوا في ذروة الشرف العالي
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهم ببعض عيوب الناس في الزمن الخالي
ويحتال في استخراج ما في بيوتهم بما قصرت عنه يدا كل محتال
وان حملوه سر امر اذاعه وكاد هم فيه كيادة مغتال
ويعبث بالجيران حتى يملهم ويبرم اهل الدار بالقيل والقال
تريهم صروف الدهر من حمقاته اعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال

قولك وقد رأوا به يعرضونه ... إلى النار فاذهب لا رجعت ولا ما

وقال الشهاب محمود معارضاً للخالدي في ذم غلام له

ما هو عبد كلا ولا ولد ... الا عنى تضنى به الكبد

وفرط سقم اعيى الاساة فلا ... جلد عليه يبقى ولا جلد

اقبح ما فيه كله ولقد ... تساوت الروح منه والجسد

اشبه شيء به القرد فهو له ... ان كان للقرد في الورى ولد

ذو مقلة حشو جفنها عمص ... تسيل دمعا وما بها رمد

ووجنة مثل صبغة الورس ... لكن ذاك صاف ولونها كمد

كأنما الخد في نظافته ... قد اكلت فوق صحنه غدد

يقطر سما فضحكه ابدا ... شر بكاء وبشره حرد

يجمع كفيه من مهانته ... كأنه في الهجير مرتعد

يطرق لا من حيا ولا خجل ... كأنه للتراب منتقد

الكن الا في الشتم ينجح كالـ ... ـكلب ولو ان خصمه الاسد

يشتمني الناس حين يشتمهم ... اذ ليس يرضى بشتمه احد

كسلان الا في الاكل فهو اذا ... ما حضر الاكل جمرة تقد

كالنار يوم الرياح في الحطب الـ ... ـيابس تأتي على الذي تجد

يرفل في حلة منبتة ... من قمله رقم طرزها طرد

اجمل اوصافه النميمة والـ ... ـكذب ونقل الحديث والحسد

كل عيوب الورى اجتمعت ... وهو بإضعاف ذاك منفرد

ان قلت لم يدر ما اقول وان ... قال كلانا في الفهم متحد

كأن مالي اذا تسلمه ... ماء قراح وكفه سرد

حَمَّلْتُهُ لى دَوايةٌ حسنتْ ... كُنتُ عليها فى الظرفِ اعتمدُ
كمثلِ زهرِ الرياضِ ما وجدتْ ... عينى لها مشبهًا ولا تجدُ
فمرَّ يومًا بها على رجلٍ ... لديهِ علمُ الخصوصِ يستندُ
اودعها عندهُ ففرَّ بها ... وما حواهُ من بعدها البلدُ
فجاء يبكى فظلتُ اضحكُ من ... فعلى وقلبى بالغيظِ يتقدُ
وقال لى لا تخفْ فحليتهُ ... مشهورةُ الشكلِ حين يُفتقدُ
عليهِ ثوبٌ وعِمَّةٌ وله ... ذقنٌ ووجهٌ وساعدٌ ويدُ
وقائلٍ بعهُ قلتُ خُذْ وَلا ... وَزْنٌ تجازى بهِ ولا عددُ
ففى الذى قد اضاعهُ عِوَضٌ ... وهو على ان يزيدَ مُجتهِدُ

الباب الثالث والتسعون فى مدح الخصيان

كان يقال الخِصيانُ ملائكة بنى آدمَ وقيل لابى العينا لمَ اتخذت غلامين اسودين خصيّين فقال اتخذتهما اسودين لئلا اتهم بهما وخصيين لئلا يتهمانى وعرض على بعض الملوك غلام صبيح خصىّ فقال هذا يصلح للفراش والهراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر مادحًا

هم نساءٌ منظمونَ مقيمٌ ... ورجالٌ ان كانتِ الاسفارُ

وفيهم يقول محمد بن المخلوع

مبرّؤن من الشعرِ الكريهِ وكُنْ ... حملَ الايورِ واخراجِ منانيِ

وهم نساء اذا حاولت خلوتهم وهم رجال لدى الهيجاء يحمونى

الباب الرابع والسبعون فى ذم الخصيان

قال الجاحظ الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فقحته وكثرت غلمته وغزرت دمعته ويقال من جبت ذربه ذهب لبه وقال المتنبى فى معناه

لقد كنت احسب قبل الخصى بان الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله رايت النهى كلها فى الخصى

ومما يستظرف للجاز قوله فى خصى اسمه سنان كان يعشق جارية

ما للبغيض سنان وللوجوه الملاح
اليس زان خصى غاز بغير سلاح

ووصف الجاز رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصى يسخر من زب مولاه ونظر خصى الى اقلف فى الحمام فقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وابلغ ما قيل فى ذم الخصى قول بعض السلف لم يلد مؤمن ولم يلد مؤمنا

الباب الخامس والسبعون فى مدح النبيذ

قال كسرى النبيذ صابون الهم ومن هنا اخذ المسيح بدر الدين السبكى فقال

وكنت اذا الحوادث دنستني ... فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤس الهم عني ... لان الراح صابون الهموم
وقال ارسطاليس الراح يكمد الفرح ومن هنا
اخذ ابن الوكيل حيث قال

وليست الكيما في غيرها وجدت ... وكلما قيل في ابوابها كذب
فيراط خمر على القنطار من حزن ... يعود في الحال افراحا وينقلب

وقال جالينوس الراح صديق الروح وقال آخر
الراح درياق الهموم فاخذه ابن الوكيل فقال

ان الذي جعل الهموم عقاربا ... جعل المدام حقيقة دريا قها

وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي ما جمعت الدنيا
باظرف من النبيذ قال في المزج لكل شئ سر وسر النبيذ
السرور وفيه الدنيا معشوقة وريحها الراح وقال
الجاحظ ان النبيذ اذا تمشى في اعضائك ودب في اجزائك
منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك على الذروع
نقي الطبع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن بهاء
الذهن وسذع عنك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وحسر
عنك عارض السقم وهو الذي يرد الشيوخ الى طبائع الشبان
والشبان الى طبائع الصبيان وروى عن ابن عباس
انه كان يقول ما حرم النبيذ الا كل لئيم ولا يحللهُ الا كل كريم
ولا يمدحه الا كل جواد سخي ولا يذمه الا كل بخيل ضنين ولكن
اتقوا السكر فانه عار ومنقصة ولقد سوغه رسول الله عبد الله

عليه

عليه الرحمة خلا طيبا وانا لنتقوى به على طعامنا وقيامنا
ونبسط به غواشي مومنا وكان ابن الرومي يقول قد افلح
شارب النبيذ لانه يقيه الشح والله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ونظم هذا المعنى فقال شعرا

اعاذل ان شرب الراح رشد لان الراح تامر بالسماح
تقينا شح انفسنا وذاكم اذا ذكر الفلاح من الفلاح

وقيل لابن نعيم ما تقول في النبيذ المصفى المصفق المروى
المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول اخاف ان لا استقل
بشكر الله على هذه النعمة الجزيلة الجميلة وكان مطيع بن اياس يقول
ان في النبيذ لمعنى في الجنة لان الله تعالى يقول حكاية عن اهلها
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والخمر يذهب الحزن وقال
ابو عثمان لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومي على قوله فيه

والله ما ادري لاية علة في الراح يدعوها الفتى بالراح
الريحها من روحها تحت الحشا ام لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة القرشي ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال
ويله قد طلق الدنيا ثلاثا وقيل للاعمش مثل ذلك فقال دعوه
يقتله القولنج وقيل للرقاشي لم اولعت بالشراب فقال لانه
يقدح في يدي نورا وفي قلبي سرورا وقال حسان بن ثابت شعرا

اذا ما الاشربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكا واسدا لا ينهنهنا اللقاء

وقال غيره

وان رضاع الكاس اعظم حرمة وارجب حقا من رضاع ثدي

وقال لبعض آخر

ما بيننا رحم الا ادارتها والراح رحمتها اولى من الرحم

وقال لبعض الموتى

اما ترى الدهر لا تنفك عجائبه والدهر بالمرء طورا معنف طورا يسر

وليس للهم الا شرب صافية كانها دمعة من عين مهجور

وقال ابن الرومي

خل الزمان اذا انقاد عسر او نجح واشك الهموم الى المدامة والقدح

واحفظ فؤادك ان شئت ثلاثة واحذر عليه ان يطير من الفرح

هذا دواء للهموم مجرب فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح

ودع الزمان فكم نصيح حازم قد رام اصلاح الزمان فما صلح

وقال هبة الله بن المنجم

الراح في ابريقها احسن روح في جسد

فهاتها نصلح بها من الزمان ما فسد

ولمؤلف الكتاب في صباه

وعقار عيش من عاقرها عيش انيق

فهي للانس نظام والى اللهو طريق

وهي للارواح في ابدانا نعم الصديق

قلت لما لاح لي منها شعاع وبريق

اشقيق ام عقيق ام حريق ام رحيق

الباب السادس والتسعون في ذم النبيذ

في الحديث المرفوع جمع الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الخمر وفي المنهج الخمر مصباح الشرور ولكنها مفتاح الشرور وعاتب ابن الضحاك ابن مزاحم صديقا له على شرب النبيذ فقال انما اشربه لانه يهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك اكثر وقيل لبعض الحكماء اشرب معنا فقال انا لا اشرب ما يشرب عقلي وقيل لبعضهم النبيذ كيميا الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب وقال آخر لابنه يا بني اياك والشراب فانه مفسدة للدين والمال وانشد ابو الفضل عبد الله بن احمد

تركت النبيذ وشرابه ... وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى ... ويفتح للشر ابوابه

لطيفة روي ان آدم عليه السلام لما غرس شجرة الكرم جاء ابليس اللعين اليها فذبح عليها طاوسا ثم قردا ثم اسدا ثم خنزيرا فشربت من دماء الاربعة فلذلك تعتري شاربها هذه الاحوال فاولا يتجلى ويتمخطر كالطاوس ثم يهذي ويربد كالقرد ثم تلحقه الحرارة الغضبية فيصير كالاسد ثم يتقطع وينام كالخنزير قال القريزي وقد شاهدت بعيني في بعض ازقة القاهرة رجلا سكران وقد استلقى على ظهره فجاءه كلب وبال على وجهه فصار يقول اكرمكم الله كما اكرمتوني بهذا الماء زد

النفيس وقال شاعر العرب

ومن يقرع الكاس للثمة سنه ... فلا بد يوما ان يسيء ويجهلا
ولم ار مشروبا اشد سفاهة ... واوضع للاشراف منها واخملا

الباب التاسع والتسعون في مدح الصبوح

كان بعضهم يقول الشراب باكورة الحياة وبكر الشهوات والشرب في شباب النهار اقوى لاسباب الانس واذعى لاضطراب النفس واجمع لشمل اللهو واخذ لحظوظ الشهوة

وقال الشاعر

ان شرب المدام سيرا الى اللهو وخير المسير صدر النهار

ولذلك قال ابن المعتز اسقني الراح في شباب النهار
قلت وعلى طريقه قال العلوي الجماني

ان صدر النهار انضر شطريه كانضرة الفتى في فتاية

ولابن المعتز فرد وجة تقع في هذا الباب

لي صاحب قد لامني وزادا ... في تركي الصبوح ثم عادا
قال الا تشرب بالنهار ... وفي ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فافتضح ... وذكر الطائر شجوا فصدح
ونفض الليل على الروض الندا ... وحركت اعصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا ... وطمس العقول والاذهانا
الا ترى المستان كيف نورا ... ونشر المنثور وردا اصفرا
وضحك الورد الى الشقائق ... واعتنق القطر اعتناق المرامق

فى روضةٍ كحلل العروسِ ... ونزهةٍ كابتهاج الطاوسِ
وياسمينٍ فى ذرى الاغصانِ ... منتظمٍ كقطع العقيانِ
والسوسنُ مثل قضب الزبرجدِ ... قد استمدّ العيش من ريح ندى
وخلق البهار بين الآسِ ... كأنه مجمرة الشمّاسِ
وجلنار كاحمرار الخدِّ ... او مثل اعراف ديوك الهندِ
والاقحوان كالثنايا الغرِّ ... قد صقلت انوارُه بالقطرِ
اشرب فهذا احسنٌ بالليلِ ... ويلى على ما يشتهى وعولى
واكثر الاوصاف والاصنافا ... فقلتُ قد جبتك الحلافا
بتُّ عندنا حتى اذا الصبح سفرْ ... كأنه جدول ماءٍ انفجرْ
قمنا الى زادٍ لنا معدّ ... وقهوةٍ صرّاعةٍ للجلدِ
كأنما حبابها المنثورُ ... كواكبٌ فى فلكٍ تدورُ
ومسمعٍ يلعب بالاوتارِ ... ارقّ من نائحة القمارِ
ولا تقل لى قد الفت منزلى ... فتخلف الوعد بعذرٍ مشكلِ
فقال هذا اوّل الجنونِ ... متى ثوى الضبّ بارض النونِ
دعوتكم الى الصبوح شرّلا ... اكون فيه اذا جئتم اوّلا

وقال ابن الحجاج

الصبح مثل البصير حالا ... والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى باىّ حالٍ ... يختار اعمى على بصيرِ

الباب الثامن والتسعون فى ذمّ الصبوح

احسن واجمع ما قيل فى ذمّ الصبوح قول ابن المعتز فى المزدوج

اسمع فانّي للصّبوح عائبُ ... عندي من اخباره عجائبُ
اذا اردتَ الشّربَ قبل الفجرِ ... والنّجمُ في لجّةِ ليلٍ يَسْرِي
وكانَ بَرْدٌ فالنديمُ مُرْتَعِدْ ... وريقُهُ على الثّنايا قد جَمَدْ
وللغلامِ ضجرةٌ وهَمْهَمَهْ ... وشَتْمَةٌ في صدرِهِ مُحَمْحَمَهْ
يمشي بلا رِجْلٍ من النّعاسِ ... ويَدْفِقُ الكأسَ على الجُلّاسِ
وإنْ أحسَّ من نديمٍ صَوْتَا ... قال مجيبًا طَعْنَةً ومَوْتَا
وإنْ يكنْ للقومِ ساقٍ يَعْشُو ... لحَفَنَهُ بحَفْنِهِ مُدَقِّقُ
ورأسُه كمثلِ رَوْضٍ قد مُطِرْ ... وصَدْغُهُ كالصَّوْلجانِ المُنْتَشِرْ
أعْجَلُ عن سِوَاكِهِ وزينتِهْ ... وهيئةٌ تَضُرُّ حُسْنَ صُورتِهْ
يَخِدُمُهُمْ بسَبْسَبٍ مُحْلَوْلِكِ ... ويَحْمِلُ الكأسَ بلا مِنْدِيلِ
وإنْ طَرَدْتَ البَرْدَ بالسّتُورِ ... وجئتَ بالكانونِ والتّنُّورِ
فأيُّ فضلٍ للصّبوحِ يُعْرَفُ ... على الغَبُوقِ والظّلامُ يَنْدَفُّ
وقد نَسِيتَ شررَ الكانونِ ... كأنّهُ نثارُ ياسمينِ
وتَرْكُكَ البِساطَ بعدَ الجَهْدِ ... ذا انْقِطٍ سودٍ كجِلْدِ الفَهْدِ
حتّى إذا ما ارتفعتْ شمسُ الضُّحَى ... قيلَ فلانٌ وفلانٌ قد أتَى
وربّما كان ثقيلًا يُحْتَشَمْ ... مطوّلَ الكلامِ حينًا وحتمْ
وارتفعَ الرّيحانُ والنّبيذُ ... وزالَ عنكَ عيشُكَ اللّذيذُ
ولمْتَ في عُلُوِّ النّهارِ آمنًا ... من حادثٍ لم يكُ قبلُ كائنًا
أو ضجّةٍ يكرهُ أو حِسَابِ ... يَقْطَعُ أُنْسَ اللّهوِ والشّرابِ
فاسْعَ إلى مَثالِبِ الصّبُوحِ ... في الصّيفِ قبلَ الطّائرِ الصّدُوحِ
حينَ حلا المَوْرُ ووطّابَ المَضْجَعُ ... والكِنُّ سِتْرٌ ولذيذُ المَهْجَعُ

فقرب الزاد الى نيامه ... السنهم ثقيلة الكلام
من بعد ان دب عليه النمل ... وحية تقذف سما صل
وعقرب محذورة قتاله ... وجعل وفارة بوآله
وللمغني عارض في حلقه ... ودمعة قد قدحت في عينه
وان اردت الشرب بعد الفجر ... والصنيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيك الدامغه ... بنارها ولا تسوغ سائغه
ويسخن التراب والمزاج ... ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميما ... واطعموا من زادهم سموما
وصار ريحان لهم كاللغت ... وكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس ... يحس جوعا مولما للنفس
وان دعى الستي بالطعام ... خيط جفنيه على المنام
لم يلف الا دنس الاثواب ... مهوسا مسيئا للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل ... ينغص الزاد على الاكيل
ومقلة مبيضة المآق ... واذن لحقة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ ... كانه شرب نفطا او لطخ
هذا كذا وما تركت اكثر ... فجربوا ما قلته وفكروا

وله ايضا

لا تدعني لصبوح ... ان الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي ... والصبح لون مشيبي

ولبعضهم

الوجه مثل الصبح مبيض ... والشعر مثل الليل مسود

ضدّان لمّا استجمعا حسنا والضدّ يظهر حسنه الضدّ

وللبستي

بدا لي في الصبا لما بدا لي نهار الشيب في ليل القذالي
كان الشعر شرب كان صفوا فشابته الليالي بالقذالي

الباب التاسع والتسعون في مدح السماع

قال بعض الفلاسفة اطيب لذات الدنيا اربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فالذات الثلاث الاوصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها واما لذة السماع قلت او كثرت صافية من التعب خالصة من النصب خالية من الوصب وقد نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا ت اربعة متى تحسب
فمنها لذة المنكـ ـح والمطعم والمشرب
وتبقى بعدها اخرى من الصوت الذي اطرب
وهذي قد تفيد النـ ـفس ابهاجا ولا تنصب
وما من لذة من تلـ ـك الا وهي قد تتعب

قال مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لا يحجز ولا يحجبه شئ وان الجمع بينه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تستطيبه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى قائله وتعرج عليه وكان بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس في السماع فاباحه قوم وحظره آخرون

وانا اخالف الفريقين فاقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة
الناس اليه وحسن اثر استماعها به وكان عبد الله بن جعفر يقول
انى لاجد للسماع اريحية ولو سئلت عندها اعطيت ولو قاتلت ابليت
وسمع معاوية عند عبد الله بن جعفر غناء فحرك رأسه ورجليه وصفق
بيديه ثم لما اناب رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب
ولا خير فيمن لا يطرب وكان مروان بن ابى حفصة اذا تغدى عند
اسحق الموصلى يقول له اطعموا آذاننا رحمكم الله وكان يحيى بن
خالد البرمكى يقول خير الغناء ما اشجاك وابكاك واطربك والهاك
ويقال ان الغناء غذاء الروح كما ان الطعام والشراب
غذاء البدن ومن احسن ما قيل فى الغناء قول بعضهم

غنت فلم تبق فى جارحة ... الا تمنيت انها اذن

الباب المائة فى ذم السماع

قال الخطيئة لقوم نزل بهم جنبوا مجلسنا الغناء فانه
رقية الزنا وسمع سليمان بن عبد الملك ذات ليلة فى معسكره
غناء فامر بصاحبه ان يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فتستوق
له الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضبع له الناقة وان الرجل ليغنى
فتغتلم له المرأة وكان الكندى يقول لابنه اياك والسماع
فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمع
ويسمع فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيهتم ويهتم فيمرض
ويمرض فيموت وكتب البديع فى رقعة الى تلميذ له توفى ابوه

وخلف مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا
والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان
زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار
فى هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنيين جائزة من بعض المحصلين
فقال المسؤول له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشترى
الريح بالروح ونظمه الشيخ الامام فقال

الا ان الغنى للمرء روح ... وان غناه فى الآذان ريح
وما بحصل عقلا ودينا ... مضيع منه بين الريح روح

الباب الحادى والمائة فى مدح الزجاج

مدح سهل بن هرون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك
فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة
وفضيلة الزجاج بالصفا ثم ان الزجاج ابقى على الدفن وهو
مجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج احسن منه
فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه الدنير ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع
فى السوم وقدور الزجاج اطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدأ
وان اتسخت فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالصابون صارت
جددا والزجاج اشبه شئ بالماء وصنعته عجيبة وصفته غريبة
وصيغته اغرب واعجب ومن كرع فيه لشرب ماء فكأنما يشرب
فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآة المركبة فى الحائط اضوء من
مرآة الفولاذ والصور فيها ابين وقد تقدح النار من قينة الزجاج

اذا كان فيها ماء محاذى عين الشمس لان طبع الزجاج والماء والهوا والشمس من عنصر واحد وليس فى كل ما يدور الفلك عليه جوهر اقبل لكل صبغ واجدر ان لا يفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهر ومتى سقط عليه ضياء انفذه الى الجانب الآخر واعاره لونه وان كان الجام ذا الوان اراك بياض البيت احسن من وشى صنعاء ومن ديباج نستر ولم يتخذ الناس آنية اجمع لما يريدون منه وقال الله تعالى عز ذكره قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال عز ذكره واكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا واشتق الفضة من اسمها على ان الزجاج اقطع من السيف واحد من الموس واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا آخر ورد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبروا ذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره حتى يكاد يغشى عين الناظر اليه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا عبث فى الاناء كلحت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة الزجاج

الباب الثانى والمائة فى ذم الزجاج

احسن ما ذم به الزجاج قول النظام فانه اخرجه فى كلمتين

باوجز لفظا واتم معنى فقال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الاذى فرجوعها بعد النفار عسير
ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر

وهشيم الزجاج ارجى صلاحا من فساد القلوب بعد الصلاح

قال مؤلف الكتاب ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات تزدلف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان اثمن واقوم كان الخطر فيه اشد واعظم وما احتاط على ماله من غالى به واشرف في ثمنه وكتب مروان ابن محمد الى بعض الخوارج انى واياك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضها وان وقعت عليه فضها وكما قال الشاعر

وانت يمينا كالزجاج رقيقة وما حلفت الا لتحنث من اجلى

وقال الشريف يعاتب صديقا له على سر اذاعه

سترى لديك كاسرار الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الكسر الانجبار له فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال ابن علاق النهروانى للزجاج المكوى

لك الله من عبد قد جبرتنا ه فاعيدنا صدوعه
فانود منك مثل ما قد فكت بالامس تبيعه

الباب الثالث والمائة فى مدح الذهب

وقال شداد الحارثي الذهب ابقى الجواهر على الدفن واصبرها على الماء واقلها نقصانا على النار وهو اوزن من كل شئ اذا كان في مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع على الزيبق في اناء طفى ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح ان تشد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع في مكان الانوف المصطلمة سواه وميله اجود الاميال واهلك الهند تمزه في العين بلا كحل ولا دزور لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظرين وله حسن وبهاء في العيون وحلاوة في الصدور وهو من الزبرجد والصفائح الذي يكون في سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شئ وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها باضعاف واضعاف اضعاف والارض التي تنبته ويسلم عليها تجعل الفضة الى جوهرها في السنين اليسيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد الى طبعها في الايام والاوقات القصيرة والطبيخ الذي يكون في قدر اغذى وامرى واصح في الجوف واطيب وسئل امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه في ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شان الكفار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فدل على عزته وعظيم قدره وقال ابو يزيد البلخي

معلوم انه ليس من الجواهر الموجودة فى العالم اطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الزمان الطويل بدون فساد يعرض عليه حتى ان العامة لتحكم بانه جوهر لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كل ما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع اسرع اليه الفساد لغلبة تلك الكيفية وكذلك الفساد الذى هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال ولصحة مزاجه لم يوجد فيه صداء كغيره من الجواهر والمتهولة التى فيه لم توجد فى غيره اذ كل ما عداه يكسب الاطعمة والاشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة وكل ما اكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله تعالى عباده به فى دار الثواب فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال فى باب الحلية والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب وذلك لما كانت العادة به من متنعمى الملوك فى هذه الدنيا بان يحلوا اعضاءهم الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا فى اكرام من يقفون منه على بلاء عظيم فى الحرب والدفاع عن حوزة الملك ولجلالة قدره ما حكى الله عز اسمه فى قصة موسى عن فرعون فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة ومن احسن ما قيل فى وصف الذهب قول قدامة حكيم المشرق الذهب نسيم مركوم وشعاع معقد فاتى بعلة عجيبة حيث ذكر انه شعاع الشمس

وقد انعقد فصار جماداً وفي المنهج الذهب خير مال حاضر لبادٍ وحاضر وقال ايضاً من ملك الصفر والبيض ابيض وجهه واخضر عيشه و سود وجه عدوه

الباب الرابع والمائة في ذم الذهب

قال سهل بن هارون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وقال المتنبي في معناه

شبيه الشيء منجذب اليه ... واشبهنا بدنيانا الطغام
وما انا منهم بالعيش راضٍ ... ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن اصابه ويقال الذهب من مصايد ابليس ولذلك قالوا اهلك الرجال الاحمران وقلت في المنهج ما سمع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

الباب الخامس والمائة في مدح الشطرنج

اعترض عليه قول ابن المعتز

يا عايب الشطرنج من جهله ... وليس في الشطرنج من باس
في فهمها علم وفي لعبها ... شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه ... وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها ... يزداد في الشدة والباس
واهلها في حسن آدابهم ... من خير اصحاب وجلاس

وقال ابن الرومي في معناه يمدح الشطرنج والنديم وأحسن فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها ... عواقب لا تنمو بها عين جاهل
واجدى على السلطان في ذات الله ... يريد بها كيف انتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته ... مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل حجاه في دقائق هزله ... تجده حجاه في الخطوب الجلائل
وسئل محمد المزين عن المتلاعبين في الشطرنج فقال اذا سلمت ايديهما من الضرب والخسران والسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت ادبا بين الاخوان والخلان وكان المأمون يقول عجبت من ذراع في ذراع يديرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ما وضع هذا الشطرنج الا لامر عظيم

الباب السادس والمائة في ذم الشطرنج

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر ان الخراساني الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها ابدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه وينحط ربه وكل صناعة لا تجوز المكابرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب في ساعة فتنقضي دهواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمحموم حتى يفيق وانما هي خشب

هزمرخشبًا ولعبٌ اورث من غير طائلٍ تعبًا ثم انّ الرّجل
ليسئل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحيي ان
يقول قم حتّى تلعب الشّطرنج وانت تقول فى الكناس ما اخذقه
وفى الطّنبورىّ ما اضربه فاذا عبّرت عن الشّطرنجىّ قلت
ما العبه فانقول فى صناعة العبارة عن الكنّاس احسن
من العبارة عن صاحبها وفى كتاب يتيمة الدّهر
لمؤلّف هذا الكتاب انّ ابا القاسم الكسروىّ كان يبغض
الشّطرنج ويذمّها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب
فى ذكر عيوبها ويقول لا ترى شطرنجيًا غنيًا الّا بخيلًا
دنيًا ولا فقيرًا الّا طفيليًا ولا تسمع نادرة باردة الّا على الشّطرنج
فاذا اجرى شئ منها قيل جاء الزّمهرير ولا يتمثّل بها الّا فيما يعاب
ويكره فاذا اخذت البشلزان قيل قد فرزنت واذا كان
مع الغلام الصّبيح رقيبٌ ثقيل قيل معه فرزند بند واذا
استحقر قدر الانسان قيل كانه بيدق الشّطرنج واذا
رؤى طفيلىّ يكثر الاكل على المائدة ويسئ الادب فى
المواكلة قيل انظروا الى يد هذا الكشخان كانها الرّخّ
فى الرّقعة واذا رؤى زيادة لا يحتاج اليها قيل زيد فى
الشّطرنج بغل واذا سبّ رجل ساقط المروءة قيل من
انت فى الرّقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يا بيدق

الباب السّابع والمائة فى مدح النّرجس

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل احدهما في
ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح
وكان انوشروان ينظر الى النرجس ويشبهه بالعيون
ويقول انى لاستحى ان اجامع في بيت فيه نرجس وكان
الحسن بن سهل يقول من ادمن شم النرجس في الشتاء
امن من البرسام في الصيف ووصف بعض البلغاء
النرجس فقال كان عينه عين ووريقه ورق وساقه زمرد
وقد اكثر الشعراء في وصفه فقال ابو نواس

تأمل في نبات الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... باحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك

ولبعضهم

يا صاح ان وافيت روضة نرجس ... اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها ... ولاجل عين الف عين تكرم

وابن الرومي فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله ... خجلا تورده عليها شاهد
لو يجعل الورد الموردلونه ... الا وناطله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان ابى ... آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد ... زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه فامتع صاحبا ... وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك في الملاح سميه ... ابدا فانك لا محالة واجد

الى الجنون

والورد

وَالْوَرْدُ انْ فتشتَ فى انسمائِهِ ... مَا فى الملاحِ له سَمِىٌّ واحدُ
هذى الزّهورُ هى الّتى قد رُبيتْ ... بحيَا السّحاب كما يربّى الوالدُ
فانظر الى الاخوين من ادناهما ... شبهًا بوالِدِهِ فذاك الماجدُ
اين الخدود من العيون نفاسة ... وريَاسة لولا القياسُ الفاسِدُ

وله ايضًا فيه

ارى حسّن هذا النرجس الغضّ مخبرا ... عن الله انّ ليس النبيذ محرّما

الباب الثّامن والمائة فى ذمّ النّرجس

لمّا فضّل ابن الرومىّ النرجس على الورد تصدّى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

يا ذا الّذى للحقّ ظلّ يعاند ... وقد استبان له الطّريق القاصد
قايستَ نرجسك الذى فضلته ... بالورد يا هذا قياسك فاسدُ
وعدلتَ عن عدل الحكومة جائرًا ... بقضيّةٍ فيها عليك أواجدُ
وجعلتَ اصلك انّ هذا قائد ... زهرَ الربيع وانّ هذا طاردُ
والنرجس البادى وليس بمنضل ... والورد بعد النّوّر اجمع وارِدُ
واذا الجيوش تتابعتْ فى موكب ... فبآخرٍ منها يجئ القائدُ
واجلّ من عين يشبّه بياضها ... لون من اليرقان اصفر باردُ
خذ تورّد لونه لنعيمه ... فعليه من خلع الرّبيع تحاسدُ
والورد ساق مستقرّ اصله ... والنرجس المضعوف غصن مائدُ
فتامّل الاثنين ايّهما رسَتْ ... اعراق منصبه فذاك الماجدُ
ما اخر الورد الخطير مقدّمًا ... للنرجس المرذول الا حاسِدُ

وقال ابو العلا المتروى

انظر الى نرجس تبدّت ... صبحاً لعينيك منه طاقه
واكتب اسامى مشبّهيه ... بالعين فى دفتر الحماقه
واى حسن يرى لطرف ... مع برقاءٍ يحلّ ماقه
كرّاثة ركّبت عليها ... صعترة بيضٍ على رقاقه

وقال آخر

قد اجاد الوزد حجته ... فى مقال غير ذى خطلِ
قال لى ابصرت نرجسة ... غضّة فى كف ذى غزلِ
فهى تحكى عين ذى مرض ... يقطع الايام بالعللِ

الباب التاسع والمائة فى مدح الورد

قال ابن سكرة الهاشمى

للورد عندى محلّ ... لانه لا يملّ
كلّ الرياحين جند ... وهو الامير الاجلّ

ولآخر

كتب الورد الينا ... فى قراطيس الخدود
يا بنى الصهبا صلوا ... قد دنا وقت الورود

وقال ابو الفرج البيغا

رمن الورد اظرف الازمانِ ... واوان الربيع خير اوانِ
اشرف الزهر زاوى فى اشرف الدهر فصل فيه اشرف الفتيانِ
ويهدى بغير واحد من الفضلاء يستظرف قول ابن ابى البغل

تمتّع من الورد القليل بقاؤه كأنك لم يبجاك الا فناؤه
ووَدّعه بالتقبيل والشمّ والبكا وداع حبيب قد يطول لقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول علي بن الجهم

زائر يهدى الينا نفسه في كل عام
حسن الوجه زكي الـ ـريح الف للمدام
عمره خمسون يوما ثم يمضي بسلام

وقوله

ما اخطأ الورد منك شيئا حسنا وطيبا ولا ملالا
اقام حتى اذا انسنا بقربه اسرع انتقالا

وقال مؤلف الكتاب في المنهج اذا ورد الورد صدر البرد

الباب العاشر والمائة في ذم الورد

كان ابن الرومي يذم الورد ويهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال في ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد مغتبلا فقلت من قبحه عندي ومن سخطه
كانه صرم بغل حين آخره عند البراز وباقي الروث في وسطه

ولغيره

النرجس الغض لربات الغنج والورد من ثم رعاع وهمج
اما تراه حين يبدو طالعا كأنه صرم حمار قد خرج

ويبلغني ان الامير خلف بن احمد كان ينشد كثيرا قول البستي

لا يغرنك انني لين المس ... لاني اذا ما انتضيت حسام
انا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

الباب الحادي عشر والمائة في مدح الشتاء

احسن ما قيل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصرت نهاره فصامه وطال ليله فقامه

وقد احسن ابو تمام

ان الشتاء على شآمة وجهه ... هو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر

لولا الذي غرس الشتاء بكفه ... قاسي المصيف هشائما لا تثمر

وقال آخر

خضرة الصيف من بياض الشتا ... وابتسام الثرى بكاء السماء

قال مؤلف الكتاب ومن محاسن الشتاء طول الليل الذي جعله الله سكنا ولباسا وبرد الماء الذي هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وامنها على الطعام والاجسام وهو حبيب المملوك واليف المتنعمين يطيب لهم فيه الاكل والشرب ويجمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغنى على الفقير وهو زمان الراحة كما ان الصيف زمان الكد ولذلك قالوا من لم يعمل زماعه صائفا لم تعل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذي لم يعل صيفا دماغه ... وجدك لا تعلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعايش في الورى بسعي وزعي تستبين اموره
ومدح بعض الدهاقين الشتاء فقال آكل فيه ما جمعت واستمتع
بما ادخرت واي شئ احسن من كانون ومن لبس الخز
والتمور والقعود في الطوارم مع الاحباب وتناول الدراج
والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج
يثلج الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه ان الشتاء غنيمة الكتاب
قصر النهار وطال ليل ممتع فيه يلذ بقينة وشراب

الباب الثاني عشر والمائة في ذم الشتاء

احسن ما قيل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اخذروا
البرد فانه قتل اخاكم ابا الدرداء قال بعض السلف
الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين وفي الخبر الحر
يؤذي والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عندنا من
هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتأهب له كما يتأهب
الجيش ويستعد له كما يستعد للحريق والغريق وقال
مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ
فيه الهواء ويستحجر له الماء وتنجحر الفقراء وما ظنك بما
يزوي الوجوه ويعمش العينين ويسيل الانوف ويغير
الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه
من يوم ارضه كالقوارير اللامعه وهواه كالزنابير اللاسعه

قوله قتل اخاكم في هذا الحديث موضوع باجماع المحدثين لان ابا الدرداء لم يقتله البرد

وليل يحول بين الكلب وهريره والاسد وزئيره والطير
وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن فى الشتاء
بين لثق وزلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله
نحن فى شتوتنا فى قلق وتنادى شفق فى فرق
ليس يخلو يومنا والليل من لثق اوزلق اودمق

الباب الثالث عشر والمائة فى مدح الصيف

يقال الصيف خفيف المؤنة جليل المعونة كثير النفع
قليل الضرّ وهو امر الحبّ والرياحين ونبات البساتين
وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمتجملين
والعون على عبادة ربّ العالمين وطبعه طبع الشباب
الذى هو باكورة الحياة كما ان الشتاء طبعه الهرم الذى
هو باكورة العدم ٥

الباب الرابع عشر والمائة فى ذمّ الصيف

فى الحديث المرفوع شدّة الحرّ من فيح جهنم وقلت فى المبهج
حرّ الصيف كحدّ السيف وقلت ايضا
ربّ يوم هواؤه يتلظّى فيحاكى فؤاد صبّ متيّم
قلت اذ خدّره حرّ وجهى ربّنا اصرف عنا عذاب جهنم
وكتب بعض الكتّاب الى بعضهم اشكو الى مولاى صيفا
لا يطيب معه عيش ولا ينفع فيه ثلج ولا خيش وكتب آخر

كيف

كيف لي بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الحمر
لاسيما وفيه الهاجرة التي هي كقلب المهجور والتنور المسجور
وحسبك آخر لا مرحبا بالضيف من ضيف فهو عون
على الحيات والعقارب وام الذباب والخنافس وطرائق
الذي هو آفة الخلق ثم قال فيه
من كل سائلة الخرطوم طاعنة لا يحجب السيف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وقد نضيف يطعمنا حتى اذا نضجت اجسامنا اكلوا

الباب الخامس عشر والمائة في مدح المطر

قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
يعني المطر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه
للمطر تبركا برحمة الله تعالى وقال عز وجل وانزلنا
من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا
من السماء ماء مباركا وكان امير المؤمنين علي رضي الله
عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما
من مهرها وليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء ليكون
قد اجتمع له الهنى والمرى والشفاء والمبارك وهو مأخوذ
من قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
فيه شفاء للناس وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا
وكان ابن العباس رضي الله تعالى عنه يقول المطر

بعضهم
ليل البراغيث ليل لا نقا
لا بارك الله في ليل البراغيث
كانهن وحبي اذ خلين به
يدا القضاة على مال القرامطة

بغل الارض يعني انه يلقحها ومنه اخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق تبكي على الارض بكاء العاشق
تلقح بالقطر بطونا للثرى والقطر بغل للتراب العاتق

وقال بعض البلغاء رحبا بالغيث الذي اغاث الانام وأروى الهضاب والآكام واحيا النبات والسوام وقال آخر يا فرحتا بالغيث الذي احيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال ابو تمام

غيث اتانا موذنا بخفض قضت به السماء حق الارض
يمضي ويبقى انعما لا يمضي كأنه قام بشكر الفرض

وقال احمد بن ابي طاهر

وعارض مبتسم قد استهل ومد اطناب الغمام واظل
حتى اذا اثرى الثرى من وبله واخصب الجدب تولى وارتحل
كم انزل الله لنا من رحمة ومن حياة بحياه اذ نزل

وقال مؤلف الكتاب

اتى هذا النثار على النظام وجاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسمي في ارضي بكاء وللزرع ابتهاج وابتسام

الباب السادس عشر والمائة في ذم المطر

كان يقال المطر مفسد للميعاد ويقال الغيث لا يخلو من العيث وقلت في المنهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال ابو نواس

هو الغيث الا انه باتصاله ... اذى ليس قول الله فيه بباطل
لئن كان اخى كل رطب ويابس ... لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال ابو على البصير

من لى بكن هذه السماء علينا ... نعمة او يكن بها مسرورا
فلقد اصبحت علينا عذابا ... ولقينا منها اذى وشرورا
صيرت منزلى على خرابا ... وعادتها ان تخرب المعمورا
ايها الغيث كنت بؤسا وفقرا ... لى وللناس سخطة وشعورا

وقال ايضا

رحمة صيرت على عذابا ... تركت منزلى خرابا يبابا
لم تدع لى بها ولا لعيالى ... سقف بيت يكف عنا السحابا
امطرتنا خلاف ما امطرت النا ... س لبنا وجندلا وترابا

وقال ابن المعتز

رويدا فانزدد يارب حيا ... وانت على ما فى النفوس شهيد
سقوف بيوتى صرن ارضا ودورسا ... وحيطان دارى ركع وسجود

الباب السابع عشر والمائة فى مدح القمر

قال مؤلف الكتاب القمر نور الله عز وجل واحد المنيرين وهو الذى يجعل الليل نهارا وبه يشبه كل وضح حسن ويتمثل به فى كل خير وفيما يقول الناس من حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده فلما طلع القمر رمقه فرفع الى الله يديه وقال اشهد انك قد اعليته وبوأت السماء منه

ثم نظر الى القمر فقال انّ الله صوّرك ونوّرك وعلى البروج دوّرك واذا شاء قورك واذا شاء كورك فلا اعلم زيدًا اسأله لك فلئن اهديت الى قلبي سرورا لقد اهدى الله اليك نورا ثم انشد يقول

ماذا اقول وفيك القول ذو خطل ... وقد كفيتني ذا التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت علويًا فانت كذا ... او قلت زانك ربي فهو قد فعلا

الباب الثامن عشر والمائة في ذمّ القمر

ابلغ ما قيل في ذلك واجمعه قول بعض الظرفاء الادباء ممن يسكن الدار بكراء وقد قيل له انظر الى القمر ما احسنه فقال والله ما انظر اليه لبغضي فيه قيل ولم ذلك قال لانّ فيه عيوبًا لو كانت في حمار لردّ بالعيب قيل وما هي قال ما يصدّ العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحلّ الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويغيّر الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

يا سارق الانوار من شمس الضحى ... ما مثل نورك في الدجا منفصر
امّا ضياء الشمس فيك فناقص ... وارى زيادة حرّها لم ينقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل ... متسلّح بهقا كوجه الابرص

الباب التاسع عشر والمائة في مدح السفر

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وارحل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وفي الخبر سافروا تغنموا وتصحوا وفي نسخة تصحوا وتغنموا وفي التوراة ابن آدم جد دسفرا أجد دلك رزقا ولبعضهم

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
فلا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من اسد رابض ولبعضهم

اذور من المعالي منتهاها ولا ارضى بمنزلة دنيه
فاما نيل غاية ما ارجى واما ان توسدني المنيه

ولآخر

ان كنت ترضى بالدنية منزلا فالارض حيث حللتها لك منزل
فاذا عزمت على المعالي فاقترط عزما كما عزم الرجال المنزل

وقال آخر

واذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا في بلدة تدع العزيز ذليلا
واذا بكيت على زمان قد مضى حتى يعود لتبكين طويلا

وقال احد الحكماء السفر احد اسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض

بل فرقها واحوج بعضها الى بعض ومن فضله ان صاحبها يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار مايزيده علما ويفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى شكر نعمته ويسمع العجائب ويكتسب التجارب ويغتنم المذاهب ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان ويسلي الاحزان ويطرد الاسقام ويشهي الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طي

اذا الزم الناس البيوت رايتهم عماة عن الاخبار خرق المكاسب

وقال ابن المعتز

اشقى من المسافر الى الامل من قعد في الناس عن العمل

وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا بل المقام على بؤس هو السفر

وفي المبهج من آثر السفر على القعود فلا يبعد ان يعود مورق العود وفيه ربما اسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر

الباب العشرون والمائة في ذم السفر

في الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلب الا ماوقى الله وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر يارب فاردد نى الى ربوع الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت اعدائي الا بالسفر

وكان

وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال بيت المنايا وقيل السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه وكان يقال طول السفر ملاله وكثرة المنى ضلاله وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ وفى المبهج رب سفر كتضحيفه ارذت رب سفر كسقم

الباب الحادى والعشرون والمائة فى مدح الغربة

من احسن ما قيل فى ذلك قول البرقعى

اذا النار ضاق بها رندها ... فنسمتها فى فراق الزناد
اذا صار مر قر فى غمده ... حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفى الاضطراب وفى الاغتراب ... منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلدك نسب فخير البلاد ما حملك وجملك وقال بعض الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك واوحش اهلك اذا كان فى ايحاشهم انسك وقال آخر

فلأن تشرق او تغرب طالبا ... وتكون فى الاقبال والادبار
خير واكرم بالفتى من عيشة ... ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه ومن مشهور ما ينشد قوله

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة ... نزوع نفسك الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... اهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر

الفقر فى اوطاننا غربة ... والمال فى الغربة اوطان
والارض شئ كله واحد ... وانما الجيران جيران

وقال غيره

اذا ذللت فى ارض معاشا وثروة ... فلا تكثرن فيها النزاع الى الوطن
فما هى الا بلدة مثل بلدة ... وخيرهما ما كان اعوانا على الزمن

ولابى فراس

والمرء ليس ببالغ فى ارضه ... كالصقر ليس بصائد فى وكره

وقال الطريفى

ارى وطنى كعش لى وكنى ... اسافر عنه فى طلب المعاش
ولولا ان كسب القوت فرض ... لما برح الفراخ من العشاش

وللبستى

لئن تنقلت من دار الى دار ... وصرت بعد مقام هن استفادى
فالحر حر عزيز النفس حيث اتى ... والشمس فى كل برج ذات انوار

الباب الثانى والعشرون والمائة فى ذم الغربة

كان يقال النقلة مثله والغربة كربة والغرقة حرقه
وقال بعض الحكماء الغريب كالغرس الذى زايل ارضه
وفقد شربه[٢] فهو ذاوٍ لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال

[٢] خ سربه اى جماعته

الغريب

الغريبُ كالوحش النائى عن وطنه فهو لكل رام رميه ولكل سبع فريسه وقال آخر الغريبُ كاليتيم العظيم الذى ثكل ابويه فلا امّ ترأمه ولا اب يرأف عليه ويقال عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك ونظمه من قال

لقربُ الدار فى الاقتار خير من العيش الموسّع فى اغتراب

وكان يقال اذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل

ولبعضهم

يا نفس ويحك فى التغرب ذلّة فتجرّعى كأس الاذى وهوانِ
واذا نزلتِ بدارِ قومٍ دارهم فلهم عليكِ تعزّز الاوطانِ

وقال آخر

مَا من غريب وان ابدى مكابدة الا تذكر بعد الغربة الوطنا

وقال النابغة

فحلّى فى ديارك ان قومًا متى يدعوا ديارهم يهونوا

وقال الاعشى

ومَن يغترب عَن قومه لم يزل يرى مُلاماً ومَنظوماً مجرًّا ومُحبَسا
وتُدفن منه الصالحات وان يمت يكن ما اسى كانا ذرى الرأس كوكبا

وقال آخر

ومَن ينأ عن دار العشيرة لم يزل عليه رعود نِعمة وبروق

وقال المتنبى

فيا ابن ابى لا تغترب ان غربتى متى يكن الضيغم الهتاك

وقال آخر

وانّ اغتراب المرء من غير خلّة ولا همّة يسمو لها لعجيب
وحسب الفتى ذلّا وان ادرك الغنى ونال ثراء ان يقال غريب

وقال آخر

طلب المعاش مفرق بين الاحبّة والوطن
ومصيّر جلد الرجال الى الضراعة والوهن

وقال البستيّ

لا يعدم المرء كتابا يستكنّ به ومتعة بين اهليه واصحابه
ومن نأى عنهم قلّت مهابته كالليث يحقر لمّا غاب عن غابه

الباب الثالث والعشرون والمائة في مدح الفراق

قال بعض الحكماء في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبة والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبة وقال ابو تمّام

وليست فرحة الاوبات الّا بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتّاب جزى الله الفراق خيرا فما هو الّا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكّل ثم تأميل وتوقع وقبّح الله التلاق فانما هو مسرّة لحظه ومساءة ايام وابتهاج ساعه واكتئاب زمان وقال آخر لا اكره الاجتماع ولا اكره الفراق لان مع الفراق غمة يحفّفها توقع انسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور وقال الشاعر

ليس عندى سخط النوى بعظيم فيه غمّ وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فاني اشتهيه لذة التسليم
ان فيه اعتناقة لودا ع وانتظارا عتناقة لقدوم

وقال بعض الظرفاء من الكتاب ان قلت اني لم اجد للرجل الما ولبين حرقة لقلت حقا لاني نلت به من العناق وانس اللقاء ما كان معدوما ايام الاجتماع ومما يليق به قول البحتري

فاحسن بنا والدمع بالدمع مكفر تمازجه والخد بالخد ملصق
وقد ضمنا وشي الفراق ولفنا عناق على اعنا قنا ثم ضيق
فلم نر الا مخبرا عن صبابة بشكوى ولا عبرة ترقرق
ومن قبل قبل التشكي وبعده نكاد بها من شدة اللثم نشرق
ولو فهم الناس الفراق وحسنه لحبب من اجل التلاقي التفرق

وقال غيره

آه من عز دمعة المشتاق ما الذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب كعناق الحبيب وقت التلاقي

الباب الرابع والعشرون والمائة في ذم الفراق

كان يقال ما خلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب وقال آخر حق الفراق ان تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطمع عليه النفوس ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد ويقال هول السياق اهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال

ونجم الغضا اهوى توهجا من ناره ولو عذب الله اهل النار بالفراق
لاستراحوا الى ما قبله من العذاب وقال الشاعر
لو ان مالك عالم بجوى الهوى وفعاله باضالع العشاق
ما عذب الكفار الا بالهوى واذا استغاثوا غاثهم بفراق
وقال آخر
لو دار مرتاد المنية لم يجد غير الفراق الى النفوس دليلا
اني نظرت الى الفراق فلم اجد للموت لو فقد الفراق سبيلا
فاخذ ابو الطيب فقال
لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا
ولابي العباس احمد بن ابراهيم بن احمد الضبي
لا تركنن الى الفراق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق
وقال بعض البلغاء لا غرو ان يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والمشتاق في قرن

الباب الخامس والعشرون والمائة في مدح البكاء

كان يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على ابيه دخل وصب عبرته ثم خرج فضل لابي بكر الخوارزمي ان البخيعة اذا ورحارب بجيش من البكاء ولم يخفف من اثقالها بشيء من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد عياؤها وعز دواؤها فضل لابي اسحاق الصابي ان في اسبال العبرة واطلاق الدمع

وقال

والارتجاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفسا
من رجاء القلوب وتخفيفا من اثقال الكروب

وقال امرؤ القيس

وان شفائي عبرة ان سفحتها فهل عند رسم دارس من معول

وله

وبكيت ليلة هجرها من وصلها وجرت مدامع اعيني كالعندم
ابكي وامسح مدمعي في جيدها من عادة الكافور امساك الدم

وقال آخر

وما في الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا ابدا حزينا لخوف تفرق او لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ويبكي ان دنوا خوف الفراق

غيره

لولا مدامع عشاق ولوعتهم لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار لفرن انفاسهم قدحت وكل ماء لفرن دمع لهم جاري

وقال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي لحي بلابلا

وقال ابن الرومي في ذكر العلة في تخفيف الهم بالبكاء

الدمع في العين لا نوم ولا نظر ولا محالة من معنى له خلقا
ولم اجد ذلك المعنى وحقكما الا البكاء اذا ما طارق طرقا

وقال ايضا رحمه الله

ابك من انفع مما في البكا ان البكاء لحزين القلب تحليل

وهو اذا انت تأملته حزن على الخدين محلوك

فصل لابى الحسن ابن ابى القاسم القاشانى قد شفيت غليلى بما استدررته من اشراب الدموع المتحيره وخففت عنى بعض البرحاء بما امتريته من اخلافها المتحدره

الباب السادس والعشرون والمائة فى ذم البكاء

قال بعض الحكماء ابغض الملوك وقد رآه فى مصيبة يبكى ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من جور الطبيعه وضعف النخيزه وترك البكاء فى الخطوب النزل من اخلاق القروم البذل ولذلك قال الشاعر

يبكى علينا ولا نبكى على احدٍ لنحن اغلظ اكبادًا من الابل

وقال ابو تمام فى التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد احسن

خلقنا جالًا للتجلدِ والاسى وتلك العوانى للبكا والمياتم

ولبحترى

ولعمرى ما العجز عندى ان تبيت الرجال تبكى النساء

وقال ابن الرومى فى الرزايا وتركه البكاء

ترحل من هويتُ وكل شملٍ مستكسف او ستقرب حين تمسى

وما الهاك عن ذكرى حبيبٍ كعدك امس يومًا بعد امس

ابت نفسى البكاء لرزء شيءٍ كفى شجوًا لنفسى رزء نفسى

اجزع وحشة لفراق الفٍ وقد وطنتها الحلول رمسى

رأيت الدهر يجزع ثم يأسو فيوهى أو يعوض أو ينسى

الباب السابع والعشرون والمائة فى مدح الرؤيا

قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعنى تأويل الرؤيا وفى الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ثم قرأ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وفى الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة واربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة للعين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكان كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد فى عمره لان النوم اخ الموت وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفى العمر زيادة وقال آخر الرؤيا الصالحة هى البشرى بالنعمى وقال بعض الظرفاء مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

الباب الثامن والعشرون والمائة فى ذم الرؤيا

احسن ما قيل فى ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا فخيرها غائب وشرها حاضر واصدقها ما يوجب الغسل وقال ابن بسام

آرى فى منامى كل شئ يسرنى ورؤياى بعد النوم اذهى واقع
فان كان خيرا كان اضغاث حالم وان كان شرا جاءنى قبل اصبع

وفى معناه قول الشاعر

واحلم فى المنام بكل خير فاصبح لا يراه ولا يرانى
وان ابصرت شرا فى منامى اتانى الشر من قبل الاذان

وقال سعد داود المصاب رايت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كانى اعطيت بدرة فمن ثقلها احدثت فى سراويلى فانتبهت فرايت الحدث ولم ار البدرة

وانشدنى ابو نصر سهل بن المرزبان للاحنف العكبرى

قل لمن رؤيا المنام عندك حق قلت هيهات كل ذاك مجاز
ليس يعتظانهم يصح له الامر فكيف المغطغط النحاز

وحكى ابن سيرين ان رجلا رأى فى المنام كان له غنما تطلب منه بعشرة عشرة وليس ببيعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيئا فغمضهما ومدهما وقال هاتوا خمسة خمسة

الباب التاسع والعشرون والمائة فى مدح الهدية

فى الخبر المرفوع تهادوا تحابوا وفيه تصافحوا فان التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فان الهدية تسل السخيمة

وقال الشاعر

ان الهدية حلوة كالسحر تختلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا

وتعيد معتقد العين بعد نفرتها حبيبا

وقال ابن عائشة الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان وكان يقال اهدوا للولاة فانهم ان لم يقبلوا احبوا وكان الفضل بن سهل ذو الرياستين يقول ما ارضى الغضبان ولا استعطفت السلطان ولا سللت السخائم ولا رفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية ومن احسن ما قيل في الاهداء الى الملوك قول احمد بن يوسف المأموني

فضائله

على العبد حق فهو لابد فاعله وان عظم المولى وجلت فواضله
الم تر ان الله يهدى الى الفتى منافعه والله ما له وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

وكتب بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالهدايا والملاطفة وقد كتب ابو العينا الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير ببا كورة عنب فان كنت سبقت المهدين لها فلى فضل السبق وان كنت مسبوقا فلى فضل النية ويقال من قدم هديته نال امنيته ومن قدم المؤنة يظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشئ الهدية امام الحاجة وقال آخر الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحناء والهدية رزق الله

فمن اهدى اليه فليقبله وقال بعض العلماء العظم في
خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر ما قالت ملكة سبا
واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر
للهدايا من القلوب مكان وحقيق بحبها الانسان
وقال الشاعر
اذا دخل الهدية دار قوم تطايرت العداوة من كواها

الباب الثلاثون والمائة في ذم الهدية

اهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له الهدية
هدية وهي لنا رشوة وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش
وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول وفي عمل
السلطان رشوة واهدى الى دهقان هدية فكرهها واظهر
الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأني بها
انه ليدعوني الى ان اتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف
لي عنده انه يسألني اخذ ثمن ذلك فمن اي هذين لا اجزع

الباب الحادي والثلاثون والمائة في مدح الدين

كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تستدين من غير حاجة
فقيل لها في ذلك فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان عليه دين وفي نيته قضاؤه فان الله معه حتى

يقضيه فانا احب ان يكون الله معي وقال جعفر
ابن محمد رضي الله عنهما المستدين تاجر الله في ارضه وفي الحديث
مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر
امثالها قيل ولم ذلك يا رسول الله قال عليه السلام لان
الصدقة ربما وقعت في يد غني عنها وصاحب القرض
لا يستدين الا من حاجة وضرورة دخل عتبة بن عمر على
خالد القسري فقال خالد يعرض به ان ها هنا رجالا اذا
فنيت اموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون
اموالهم اكثر من مروءتهم فلا يدانون ورجالا تكون
مروءتهم اكثر من اموالهم فيدانون على بيعة الله فخجل
خالد وقال انك منهم وما علمت ويقال كثرة الدين
من علامات المفضلين وقال بعض السلف
لان اقرض مالي مرتين احب الي من ان اتصدق به مرة
واحدة وفي الخبر من اراد ان يأخذ دينارا وهو ينوي
قضاءه بارك الله فيه واعانه على قضائه

الباب الثاني والثلاثون والمائة في ذم الدين

في الخبر لا وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين
وقال عليه السلام الدين شين الدين وكان يقال
صاحب الدين ذليل بالنهار ومهموم بالليل وقال
بعض السلف الدين علل الله في ارضه فاذا اراد الله ان يذل

عبدًا جعل منه طوقًا في عنقه وقال العتبي الدين
عقلة الشريف وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل
قد توارى من دين ركبه فقال ذاك ظالمًا وفد الكرام
وقال عبد الملك بن صالح ما استرق الاحباب بمثل
الدين ومن احسن ما قيل في هذا الباب قول الخباز البلخي
اذا استثقلت او ابغضت شخصًا وسرك بعده حتى التنادي
فسرّده بقرض درهمات فان القرض مقراض الوداد
وقال ابن المعتز كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمجرب مخلفا

الباب الثالث والثلاثون والمائة في مدح الشباب

في الحديث المرفوع اوصيكم بالشبان خيرًا فانهم ارق
افئدة ان الله بعثني بشيرًا ونذيرًا فجاءني الشبان وخالفني
الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وكان عطاء الخراساني يقول الحوائج الى الشبان اسهل
منها الى الشيوخ المرء ان يوسف عليه السلام قال لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال ابوهم سوف استغفر
لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وقال الصولي في كتاب
فضل الشباب على الشيب الذي الفه للمقتدر ان الشيب
لا يقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدمًا بل ربما عدل بجلائل الامور
ومهمات الخطوب عن المشايخ الى الشبان لاستقبال ايامهم
وسرعة حركاتهم وحدة اذهانهم ويقظة طبائعهم

لا تهم

لانهم على ابنائهم المجد احرص وانه اصبا واحوج وقد اخبر
الله تعالى عن اعطائه يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكمة
في سن الصبي بقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا
وذكر الفتية في كتابه العزيز في غير ما موضع فقال اذ اوى الفتية
الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال واذ قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا وقال بعض البلغاء
الشباب باكورة الحياة واطيب العيش اوائله كما ان اطيب
الثمار بواكيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
ما بعث الله نبيا من الانبياء الا شابا ولا آتى العلم عالما
الا وهو شاب ثم تلى قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم وقال الجاحظ في قول ابي العتاهية

ان الشباب حجة التصابي روايح الجنة في الشباب

معنى كمغنى الطرب الذي تشهد بصحته القلوب وتعجز
عن صفته الالسن ومن احسن ما قيل في مدح الشباب
والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلي

لاحين صبر فخل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها مع الشباب بيوم واحد بدل

ومما انشد منصور النميري الرشيد قوله

ما انقضى حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتني مسرته صروف دهر وايام لها جزع

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع
بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يا منير لا خير في
دنيا لا يحظى فيها برد الشباب ومن احارس هذا الباب
قول ابن الرومي

لا تلح من يبكي شبيبته الا اذا لم يبكها بدم
لست ارى حق رؤيتها الا اوان الشيب والهرم
ولرب شيء لا يبين له وجدانه الا مع العدم
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الارض بالظلم

وله ايضا في نسيب قصيدة

أيا برد الشباب لكنت عندي من الحسنا والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال على علمي بفضلك في الشباب
ولو ملكت صونك فاعلمنه لصنتك في الحرير من الغياب
ولم ابسك الا يوم فخر ويوم زيارة الملك اللباب

قال الشيخ لو قال لصنتك في الفؤاد من الغياب لكان اولى

الباب الرابع والثلاثون والمائة في ذم الشباب

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون وقال النابغة

وان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

وقال العتبي

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنون بره الكبر

ويقال

ويقال سكر الشباب اشد من سكر الشراب وقال ابن المعتز جاهل الشباب معذور وعالمه محقور وكان يقول نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان وقال ابو الطيب محمد بن حاتم المصعبي واجاد

لما قال للشباب في كنف اللهو ولا سترة عداة استقلا
زائر الرزل مقيما الى ان سود الصحف بالذنوب وولى

الباب الخامس والثلاثون والمائة في مدح الشيب

في الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري والنار خلقي وانا استحي ان احرق نوري بناري وكان يقال الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعي اهلا وسهلا بالمشيب فانه سمة العفيف وهيئة التخرج وكان شيبي نظم در زاهر في تاج ذي ملك اغر متوج

وقال طريح بن اسماعيل الثقفي

والشيب ان يحلل فان وراءه عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص مني المشيب قلامة ولنحن حين بدا لك واكيس

وكان يقال الشيب زينة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وارعوى عن مجالس الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب واطاع ملائكة الشيب وقال علي

رضي الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال
ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير
فانه اقر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان
والشاب يقول عن سماع وقال ابو تمام
فلا يروعنك ابياض الشيب به فان ذاك ابتسام الرأى والادب
وقال ابو السمط
ان المشيب رداء العقل والادب كما الشباب رداء اللهو واللعب
وقال دعبل
احب الشيب لما قيل ضيف كحبي للضيوف النازلينا
وقال البحترى
وبياض الباز اصدق منا ان تأملت من سواد الغراب
وله
عذلتنا في عشقها امر عمرو هل سمعتم بالعاذل العشوق
ورأت لمة المشيب فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الأقاحي لابصرت لابيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لولم يسلح بياض من ما كان بالموموق
اي ليل يهمى بغير نجوم وسحاب يندى بغير بروق
وقال ابن الرومي
قد يشيب الفتى وليس عجيبا ان ترى النور في القضيب الرطيب
والبديع الهمداني فصل في مدح الشيب وذم الشباب
جزى الله المشيب خيرا فانا ناه ولا رد الشباب فانه هناه

وبئس الداء الصبى وليس دواؤه الا انقضاؤه وبئس المثل
النار ولا العار ونعم الراكضان الليل والنهار واظن الشباب
والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا
ولا اشتعل الاول نارا واشهر الآخر نورا فالحمد لله الذى
بيّض العار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد
كما غسل السواد ان السعيد من شابت لمّته ولم تخضّ
بالبياض لحيته ايضا فى الشيب

يا من يعلّل نفسه بالباطل ... نزل المشيب فرحبا بالنازل
ان كان ساءك طالعا بياضه ... فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لا تبكين على الشباب وفقده ... لكن على الفعل القبيح الحاصل
يا غافلا عن ساعة مقرونة ... بنوادب وصوارخ وثواكل
قدّم لنفسك قبل موتك صالحا ... فالموت اسرع من نزول القافل
حتى ترى سمعك لا يعى لمذكّر ... وصميم قلبك لا يلين لعاذل
تبغى من الدنيا الكثير وانما ... يكفيك من دنياك زاد الراحل
اى الكتاب تهز سمعك دائما ... وتصمّ عنها معرضا كالغافل
كم لله عليك من نعم ترى ... ومواهب وفوائد وفواضل
كم قد انالك من سوابغ طوله ... فاسأله عفوا فهو عفو السائل

الباب السادس والثلاثون والمائة فى ذم الشيب

قال عبيد بن الابرص الشيب شين من شيب وقال
قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال اكثم بن صيفى

الشيب عنوان الموت وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن انس الشيب نوأم الموت وقال العتبي الشيب مجمع الامراض وقال العتابي الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الغموم وقال ابن المعتز الشيب اول مواعيد الفنا وقال القاسم الشيب ناعي الشباب ورسول البلا وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوي الشيب وكل عيب وقال ابن شكلة الشيب احد الموتين ومن احسن ما قيل في ذم الشيب قول ابي تمام

هذا الشيب مختطّ بغرة لحظة ... طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يخفى والمعاشر يحتوي ... وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ... ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضى ... وانف الفتى من وجهه وهو اجدع

وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تصاحكت لما رأت ... شيبا تلالى غرره
قلت لها لا تعجبي ... انبيك عندي خبره
هذا غمام للردى ... ودمع عيني مطره

وقال آخر

من شاب قد مات وهو حيّ ... يمشي على الارض مشي هالك

لو كان عمر الفتى حسابا لكان في شيبه كذلك

وللشافعي رضي الله عنه

ولذ عيش المرء قبل مشيبه وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود جلد المرء وابيض شعره تكدر من ايامه مستطابها

غيره

سألت من الاطبة ذات يوم طبيبا عن مشيبي قال بلغم
فقلت له على غير احتشام لقد اخطأت فيما قلت بل غم

الباب السابع والثلاثون والمائة في مدح الخضاب

كان يقال الخضاب احد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ومن احسن ما قيل في مدحه

الشيب موتى ولكن في اماتته محيا ليال قليلات وايام

وقال ابن المعتز

وقالوا النصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد
اساءة هذا باحسان ذا فان عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر

للضيف ان يقري ويعرف حقه فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

واظرف ما قيل في الخضاب قول عبدان الاصفهاني

في مشيبي شماتة لعداتي وهو ناع منغص لحياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه لي انس الى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني ما به رمت خلة الغانيات

انما رمت ان يغيب عنى ... ما ترينيه كل يوم مرآتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا ... سرّه ان يرى وجوه النعاة

الباب الثامن والثلاثون والمائة فى ذم الخضاب

قال الاسكندرانى لرجل خضب الشيب هب انك خضبت الشيب فكيف تخضب سائر آثار الكبر وقال ابن المعتز الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومى الخضاب رداء الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب وبعضهم

يا خاضب اللحية ما تستحى ... تشارك الرحمن فى صبغته
قبح منى شاع بين الورى ... ان الفتى يكذب فى لحيته

غيره

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب ... تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال محمود الورّاق

يا خاضب الشيب الذى ... فى كل ثالثة يعود
ان الفصول اذا بدى ... فكأنه شيب جديد
بدويهة روعية ... تكر وهى ابدا عتيد
فدع المشيب كما اراد ... فلن يعود كما تريد

وقال آخر

خضبت شيبى لخفى ... وكان ذاك لعلّه
فتقبل شيبى خضيبا ... فزاد فى الطين بلّه

وقال آخر

يا خاضب الشيب بالحنا ليستره ... سل الاله له سترًا من النار

وقال ابو الطيب المتنبي

ومن هوى كل ما كانت مموهة ... تركت لون مشيبي غير مخضوب

ومن هوى الصدق في قولي عاينه ... رغبت عن شعري في الوجه كذاب

وقال غيره

تولى الجهل وانقطع العتاب ... ولاح المشيب وافتضح الخضاب

لقد ابغضت نفسي في مشيبي ... فكيف تحبني الخود الكعاب

الباب التاسع والثلاثون والمائة في مدح المرض

حدث الصولي عن ابي ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف للفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما مدحه به انه قال برء الفضل من علة مرضت له فجلس الناس وهنوه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ان في المرض لنعمًا لا ينبغي للعقلاء ان يحذروها منها تمحيص للذنوب وتعرض للثواب والتبصر وايقاظ من الغفلة واذكار للنعمة الموجودة في الصحة ورضا بما قدر الله وقضاه واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونشروا ما قال غيره وكان يقال مرارة للستم توجد حلاوة العافية وفي الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيًا من الذنوب كيوم ولدته امه

وفي الخبر ايضًا ان المريض ليتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر في الخريف وكان طاوس يقول دعاء المريض مستجاب اما سمعت قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدًا وفي خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة وقال بعض العلماء رب مرض يكون تمحيصًا لا تنغيصًا وتذكيرًا لا تمكيرًا وادبًا لا غضبًا وقال ابن المعتز قلت لبعض فتياننا وانا عليل وقد سألني عايد بحضرته عن حالي فقال كيف انت ترى ان قلت في عافية كنت كاذبًا فقال لا قد قال بعض الصالحين اذا اعلك الله في جسدك فقد اصحك من ذنوبك

الباب الاربعون والمائة في ذم المرض

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لاصديق ارفق من الصحة ولا عدو اعدى من المرض وقال آخر شيئان لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب وقال الزبرجمهر ان كان شيء فوق الموت فهو المرض وان كان شيء مثله فهو الفقر وان كان شيء فوق الحياة فهو الصحة وان كان شيء مثلهما فهو الغنى وقال ابن المعتز المرض حبس البدن كما ان الهم حبس الروح وقال بشار

انى وان كان جمع المال يعجبنى لايعدل المال عندى صحة الجسد
المال زين وفى الاولاد مكرمة والسقم ينسيك ذكر المال والولد

وللمتنبى

واذا الشيخ قال اف لما مل حياة وان للضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولّيا عن المرء ولّى

الباب الحادى والاربعون والمائة فى مدح الموت

فى الحديث المرفوع الموت راحة وقال بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وابقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال ميمون بن مهران بتّ ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا امير المؤمنين تسال ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامتّ بدعا وفى بقائك راحة للمسلمين فقال يا افلا اكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين اقرّ الله عينه وجمع له امره قال رب قد اتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقال الفلاسفة لا يستكمل الانسان حدّ الانسانية الا بالموت لان حدّ الانسان انه حىّ ناطق ميّت وقال

بعض السلف الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال آخر ربّ موت كالحياة وقال الشاعر

وما الموت الا راحة غير انها من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

وقال آخر

جزى الله عنّا الموت خيرا فانه ابرّ بنا من كل برّ وأرأف
يعجّل تخليص النفوس من الاذى ويدني من الدار التي هي اشرف

وقال منصور الفقيه

قد قلت اذ مدحوا الحياة فاسرفوا في الموت الف فضيلة لا تعرف
منها امان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال ابو احمد بن ابي بكر الكاتب

من كان يرجو ان يعيش فانني اصبحت ارجو ان اموت فاعتقا
في الموت الف فضيلة لو انها عرفت لكان سبيله ان يعشقا

وقال ابن لنكك البصري

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا
اصبح الناس فيه من سوء حال حقّ من مات منهم ان يهنّا

الباب الثاني والاربعون والمائة في ذمّ الموت

في الحديث المرفوع قال صلّى الله عليه وسلّم اكثروا من ذكر هادم اللذات فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله اي ما ذكر في كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا في كثير في الامل الا قلله اي باعتبار ما ينشأ عنه من تقصير الهمم

والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قال
ونحن فى غفلة عما يراد بنا نُنسى لشقوتنا من ليس ينسانا
ولبعضهم
وما هذه الأيام الا صحائف يؤرخ فيها ثم يمحى ويمحق
ولم ار فى دهرى كدائرة المنى توسعها الآمال والعمر ضيق
وفى بعض الآثار عن النبى المختار الامل رحمة من الله لامتى
وقال الشاعر
يا موت ما اجفاك ما نازلٍ تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها وتأخذ الواحد من أمه
وقال آخر
وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتضل فيها سهام
المنايا وقال ابن المعتز الموت كنهم مرسل اليك وعمرك
بقدر سفرهم نحوك وقال بعض السلف الموت اشد
ما قبله واهون ما بعده ونظر الحسن الى ميت يدفن فقال
ان شيئا هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره
لحقيق ان يزهد اوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال
مفازة من ركبها اضل خبره قال الشيخ يعنى اخفى خبره وعفى اثره
وقال المتنبى
اذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت ان الموت ضرب من القتل
وما الموت الا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال ايضًا

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه
يموت راعي الضأن في جهله ... موتة جالينوس في طبه

وقال ابن المعتز كان من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد

وقال ايضًا الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

الباب الثالث والاربعون والمائة في مدح السواد

احسن ما قيل فيه قول ابي يوسف القاضي وقد جرى بين يدي الرشيد ذكر السواد من بين الالوان يا امير المؤمنين من فضائل السواد انه لم يكتب كتاب الا به حتى كتاب الله تعالى وكان يقول النور في السواد يعني سواد الناظر وقد اكثر الشعراء في مدح السواد ووصفه فمن محاسنه قول ابي حفص في جارية له

اشبهك المسك واشبهته ... فائقة ان كنت او قاعدة
لاشك اذ عرفكما واحد ... انكما من طينة واحدة

وقال ابن محمد العبسي

ان سعدى والله يكلا سعدي ... ملكت بالسواد رق سوادي
اشبهت ناظري وحبة قلبي ... فهي في العز ناظري وفؤادي
لن يرى الناظرون شيئا وان ... اشرق حسنا الا بنور السواد

وقال بعض الكتاب في غلام اسود

قالوا عشقت من البرية اسودا ... جهلا علقت باضعف الاسباب
فاجبتهم ما في البياض فضيلة ... وارى السواد نهاية الطلاب

اهوى السواد لان شيبي ابيض ... يردي الفتى واحب لون شبابي
وكذاك في الكافور برد قاطع ... والمسك اصبح سيد الاطياب
وبه يزين كف كل خريدة ... وبه تتمم صناعة الكتاب
والله البس اهل بيت محمد ... لون السواد فكف عنك عتابي

وقال بعض الظرفاء

يكون الخال في الخد القبيح ... فيكسوه الظرافة والجمالا
فكيف بلا مر مشغوف بمن قد ... يراه كله في العين خالا

وقال الصابي في غلام اسود

لك وجه كأنما خضبته ... سود قلب عن الصبر خالي
فيه معنى من البدور ولكن ... نفضت صبغها على الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسنا ... انما يلبس السواد الموالي

لطيفة قيل ان هارون الرشيد جلس ذات يوم وبين يديه جاريتان احدهما سوداء والاخرى بيضا فتعاتبتا الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما انشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها فانشدت السوداء تقول

العز ان المسك لا شئ مثله ... وان بياض الجير حمل بدرهم
وان سواد العين لا شك نورها ... وان بياض العين لا شئ فاعلم

فاجابتها البيضاء وقالت

العز ان الدر لا شئ فوقه ... وان سواد الفحم حمل بدرهم
وان الوجوه البيض تدخل جنة ... وان الوجوه السود اهل جهنم

وان بياض العين يشبه ما ذكر
وان سواد العين كذلك

الباب الرابع والاربعون ومائة فى ذم السواد

احسن ما قيل فى ذم السواد قول الاوزاعى السواد لا يلبس فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولا تجلى فيه عروس وقال الماهانى لصديق له لم اولعت بالسودان فقال لانهم اسخى فقال الماهانى للعين وقال احمد بن ابى الطيب السرخسى من معايب السودان انه لا يظهر فيهم اثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا وقال ابو حنش

رأيت ابا الحجناء فى الناس جائرا ... ولون ابى الحجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده ... وان كان مظلوما له وجه ظالم

وقال اللحام فى هجاء اسود

ويبرز للرائين وجها كأنما ... كساه اهابا من قشور الخنافس

وقد احسن كشاجم فى هجاء رجل اسود جائر

يا مشبها فى فعله لونه ... لم تعد ما اوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج ... والظلم مشتق من الظلمه

نسفت من خلقك

الباب الخامس والاربعون ومائة فى مدح الغوغاء والسفلة

فى الخبر ان الله ينصر هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم وكان الاحنف بن قيس يقول اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار وذكر محمد بن جعفر رضى الله عنهما الغوغا فقال انهم ليطفؤن الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق وكان

الرشاء

الشافعي رحمة الله عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل معه ويحامي عليه وكان سعيد بن سالم يقول ينبغي للرئيس ان يأخذ في ارتباط السفهاء من الغوغاء ويقول الشاعر

وانى لاستبقي امرة السوء عنده ... لعذوة عن بعض من لقوم جانب
اخاف كلاب الابعدين وهرشها ... اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب

الباب السادس والاربعون ومائة في ذم الغوغاء والسفهاء

ذكر هم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا قط الا ضروا وما تفرقوا الا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحايك الى حياكة والطيان الى مطينته والفلاح الى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون المحتاجين وقال الجاحظ الغاغة والباغة والاغبياء والسفهاء كانهم آخر ارعام واحد وهم في بواطنهم اشد تشابها من التوأمين في ظواهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتزام والتسرع وفي الأسنان والبلدان وقد ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركي العرب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الفاظهم ومعايبهم ومقاديرهم التي كانت في وزان ما يكون من جميع الامم الى انبيائهم فقال عز من قائل تشابهت قلوبهم الاية وقال فاستمعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ومثل هذا كثير الا ترى انك لا تجد ابدا في كل بلدة

وعصر الحاكة فيها الا على مقدار واحد وجهة واحدة من التشف والخمول والعباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من اصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون على مثال واحد وجهة واحدة وكل حجام فهو شديد الحرص على شرب النبيذ وان اختلفوا في البلدان والاجناس والانساب وكان المأمون يقول كل شر وضر في الدنيا انما هو صادر عن السفهاء والغاغة فانهم قتلة الانبياء والاولياء والاصفياء وهم المضربون بين العلماء والنمامون بين الاولياء والساعون الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطرارون والجلادون ومثيرو الفتن والمغيرون على الاموال فاذا كان يوم القيمة جروا على عادتهم في السقاية يقولون ما حكى الله عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

الباب السابع والاربعون ومائة في مدح العمى

قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل لقتادة ما بال العميان اذكى وأكيس من البصراء قال لان ابصارهم تحولت الى قلوبهم وقال الجاحظ العميان اذكى واحفظ واذهانهم اقوى واصفى لانهم غير مشتغلين الافكار بتمييز الاشخاص ومع النظر تتشعب الفكر ومع اطباق العين اجتماع اللب ولذلك قال عبد الله بن العباس

ابن عبد المطلب رضى الله عنهما

ان يأخذ الله من عينيّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ
قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهورُ

وقال الشاعر

يُعيّرني الاعداءُ والعار فيهمُ وليس بعارٍ ان يقال ضريرُ
اذا ابصر المرء المروءة والتقى وان عمي العينان فهو بصيرُ

وقد عيّر بعضهم اعمى وكان لسنا فصيحا فقال يعجو ويعرّض بداته

ليس العمى داءٌ ولكنه شظفةٌ تشريفٍ على ضُرّهِ
ما الهمّ والداءُ وكلّ البلا الّا ابتلاءُ المرء في دُبرهِ
فالحمد لله الذي صاننا مما يحارُ الطبُّ في امرهِ

وقال الشاطبي رحمه الله

إن أذهب الله من عينيّ نورهما فان قلبي مضيءٌ ما به ضررُ
أرى بقلبي دنياي وآخرتي والقلبُ يدرك ما لا يدرك البصرُ

وقال رجل لبشار ما سلب الله من بدنك كريما الا عوّضه عنهما فما الذي عوّضك عن عينيك فقال لم اجد النظر الى بغيض مثلك وقال ابو يعقوب الخريمي من فضائل العمى ومرافقه اجتماع الرأي والذهن وقوة الادراك والحفظ ومرقوم الواجب من الشوق والانات من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الاغبياء والبغضاء وحسن العوض عن مراعاة الوجه في دار الثواب

وقال منصور الفقيه

يا مُعرِضًا إذ رآني ... لما رآني ضريرا
كم قد رأيتَ بصيرًا ... أعمى وأعمى بصيرا
قل لي وأنت انصفتَ ... أقلتَ خلقًا كثيرا

الباب الثامن والاربعون والمائة في ذم العمى

احسن ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن في السفاهة أعمى ... فسكوت اللبيب عنه صواب
كيف يرجو الحياء منه صديق ... ومكان الحياء منه خراب

وقال الجاحظ رأيت ضريرًا بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلت اما احدهما فالعمى فما الأخرى قال عدم الصوت اما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئان ان عدّا ... فخير منهما الموت
فقير ماله مال ... وأعمى ماله صوت

وينشد

سمعت أعمى قال في مجلس ... يا قوم ما أوجع فقد البصر
فقال من بينهم أعور ... من العمى عندك نصف الخبر

وقال منصور الفقيه

جعلت الجدار دليلي عليك ... لاني أراني مثل الجدار
وصار نهاري وليلي سواء ... وقد كان ليلي مثل النهار

الباب التاسع والاربعون والمائة في مدح السجن

احسن ما قيل فيه قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي وأي مهند لا يغمد
وما رأيت الليث يألف غابه ... كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه المحاق فتنجلي ... أيامه وكأنه متجدد
ولكل حال معقب ولربما ... أجلى تلك المكروه عما تحمد
والسجن ما لم تغشه بدنية ... شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم بجله ... فيزار فيه ولا يزور ويقصد

واحسن ما قيل في تسلية المسجونين قول البحتري

اما في رسول الله يوسف اسوة ... لمثلك محبوسا على الضيم والاذى
اقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال البستي

فديتك يا روح المكارم والعلا ... بأنفس ما عندي من الروح والنفس
حبست فمن بعد الكسوف تبلج ... تضيء به الآفاق كالبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس هما ووحشة ... فقبلك قد ما كان يوسف في الحبس

وقال آخر

بنفسي من لم يضربوه لريبة ... ولكن ليبدو الوزر في سائر الحبس
ولم يدخلوه السجن الا مخافة ... من العين ان تعدو وعلى ذلك الحبس
وقالوا كما شاركت في الحسن يوسفا ... فشاركه ايضا في الدخول الى السجن

ومن ابلغ ما قيل في الاهانة بالحبس والضرب

قول بعض الاعراب

وما الحبس الا ظل بيت سكنته ... وما السوط الا جلدة رافقت جلدا

الباب الخمسون والمائة فى ذم السجن

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وتجربة الاصدقا وشماتة العدا وقبور الاحيا
وكتب بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار لست لها مالكا ولا مرتهنا ولا مكتريا وليست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا فقال انا لله وانا اليه راجعون
كتبه من السجن وقال بعض الشاعر من المسجونين

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ... فلسنا من الاحيا فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وقال عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة شمل المكاره اهلها ... وتقلدوا مشنوءة الاسماء
دار تهاب بها اللئام وتتقى ... وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول علج ما اراد ولا ترى ... حرا يقول برقة وحياء
ويرق عن مس الملاحة وجهه ... فيصونه بالصمت والاغضاء

الباب الحادى والخمسون والمائة فى مدح التعليم

احسن واجمع ما سمعت فى مدح التعليم قول ابى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من يحقره بانه معلم ليس يستغنى عن التعلم والتعليم احد لان الخاصة والعامة تضطر اليهما فى جميع الديانات والصناعات والآداب والانساب

والمكاسب والمذاهب فما يستغني كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا احد في كل مذهب ومكتسب ان يتعلم صناعته ممن هو اعلم منه ويعلم من هو اجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم افضل من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلا من رجل يذم ما وصف به الخالق نفسه ثم رسوله صلى الله عليه وسلم اليس قد قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال الرحمن علم القرآن وقال في وصف رسوله صلى الله عليه وسلم ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية

الباب الثاني والخمسون والمائة في ذم التعليم

احسن ما قيل في ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من ... يروح الى انثى ويغدو الى طفل

وقال آخر يهجو معلما

معلم صبيان وحامل دره ... وليس له عقل مثقال ذرة

وقال الحمدوني

معلم صبيان يروح ويغتدي ... على انفه الوان ريح فساتهم

قد افسد وا منه الدماغ بفسوهم ... وبرغهم اصواتهم بنداتهم

يستخدم الغلمان ثم يسيئهم ... ويميتهم جوعا باكل غذائهم

وقال آخر

ان المعلم حيث كان معلما ... ولو ابتنى فوق السماء بناء

او كان علم ساعة من دهره او كان علم آدم الاسماء
لا بد من نقص يكون بعقله فاخلص نفسك حيث كان الداء
وقال الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأه وعقل مائة امرأة
عقل حايك وقيل لمعلم في النظارة الى بعض الحروب
فاصابت رأسه نشابة وبقيت فيه فلما أريد نزعها منه
قال لجاره ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف
شئتم فلو كان لي دماغ ما خرجت في النظارة الى الحرب
وقيل لمعلم ابن معلم لا تكن احمق فقال حمقي موروث

الباب الثالث والخمسون والمائة في مدح الرقيب

قال بعض الظرفاء لا اقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظ
على الحبيب كما يمنعه مني يمنعه من غيري وانشد

موقف للرقيب لا انساه لست اختاره ولا أأباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد جاء يحلو على من اهواه
لا احب الرقيب الا لاني لا ارى من احب حتى اراه

ويقال الرقيب ثاني الحبيب

الباب الرابع والخمسون والمائة في ذم الرقيب

وقد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن
احسن ما قيل في ذمه قول ابن الزمخ

ما بالها حسنت لنا ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقباء

مَا ذَاكَ اِلَّا اَنَّهَا شَمْسُ الضُّحٰى اَبَدًا يَكُوْنُ رَقِيْبُهَا اَلْحَرْبَاءُ

وَلِبَعْضِهِمْ

هُمُ اَيْقَظُوْا رُقْطَ الْاَفَاعِيْ وَنَبَّهُوْا عَقَارِبَ لَيْلٍ نَامَ عَنْهَا حُوَاتُهَا
وَقَدْ نَقَلُوْا عَنِّيْ الَّذِيْ لَمْ اَقُلْ بِهٖ وَمَا اٰفَةُ الْاَخْبَارِ اِلَّا رُوَاتُهَا

اَلْبَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُوْنَ وَالْمِائَةُ فِيْ مَدْحِ لَا

اَحْسَنُ مَا قِيْلَ فِيْ مَدْحِ لَا نَثْرًا قَوْلُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ لَا اِلَّا اَنَّهَا اِفْتِتَاحُ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ لَكَانَ كَافِيًا يَعْنِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَنَظْمًا قَوْلُ غَيْرِهٖ

اِجْتَمَعَ النَّاسُ عَلٰى ذَمِّ لَا غَيْرِيْ فَاِنِّيْ مُوْجِبٌ حَقَّ لَا
وَذَاكَ اَنِّيْ قُلْتُ يَوْمًا لَهٗ تُحِبُّ غَيْرِيْ سَيِّدًا قَالَ لَا

وَقَالَ الْكِنْدِيُّ قَوْلُ لَا يَدْفَعُ الْبَلَا وَقَوْلُ نَعَمْ يَزِيْلُ النِّعَمَ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ طَاهِرٍ

فِيْ كُلِّ شَيْءٍ سَرَفٌ يُكْرَهُ حَتّٰى فِي الْكَرَمْ
وَرُبَّمَا الْفَيْنَ لَا اَفْضَلُ مِنْ اَلْفِ نَعَمْ

وَكَانَ الْمُهَلَّبُ يُوْصِيْ ابْنَهٗ عَبْدَ الْمَلِكِ وَيَقُوْلُ لَهٗ اِيَّاكَ وَالسُّرْعَةَ عِنْدَ مَسْئَلَةٍ بِنَعَمْ فَاِنَّ نَعَمْ اَوَّلُهَا سَهْلٌ فِيْ مَخْرَجِهَا وَاٰخِرُهَا ثَقِيْلٌ فِيْ فِعْلِهَا وَاعْلَمْ اَنَّ لَا وَاِنْ قَبُحَتْ فَرُبَّمَا رُوِّحَتْ وَاِنْ كُنْتَ فِيْ اَمْرٍ تُسْاَلُهٗ عَلٰى قُدْرَةٍ فَفِيْهِ فَاطْمَعْ وَاِنْ عَرَفْتَ اَنَّ لَا سَبِيْلَ اِلَيْهِ فَاعْتَذِرْ عَنْهُ وَادْفَعْ فَاِنَّ مَنْ لَا يَدْفَعُ بِالْعُذْرِ فَنَفْسُهٗ ظَلَمَ

الباب السادس والخمسون والمائة في ذم لا

قال بعضهم

لعن الله قول لا خلقت خلقة الحلم
انها تفرض الجميل وتأبى على الكرم

ووصف لا ابو الحرث ليحيى بن خالد البرمكي فقال فتح الله لا كانه مشجب من حيث اتيته المشيب عيدان يضم بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب

وقال غيره على نحو ما تقدم

يا ليت لا ما كتبت فانها تحكى الجلم

الباب السابع والخمسون والمائة في مدح اليمين

ادعى رجل على داود بن علي الاصبهاني مالا في مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضي فانكره وحلف له فقال القاضي يا ابا سليمان انت مع محلك من العلم تحلف في مثل هذا المجلس فقال نعم اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما امرانه به ورسوله فقال وما هو فقال ليس الله يقول لرسوله عليه السلام ويستنبؤنك احق هو قل اى وربي انه لحق ويقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم قال القاضي قم بالسلامة فما ارى احدا يقطعك

وقال

وقال ابن الرومي

وإني لذو حلف حاضر ... إذا ما أضطررت وفي الحال ضيق
فهل من جناح على مسلم ... يدافع بالله ما لا يطيق

وكان ابو حنيفة يقول اذا ابتليت بالسلطان فخرق دينك بالايمان ورقعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

الباب الثامن والخمسون والمائة في ذم اليمين

قال الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ويقال اليمين حنث وندمة ويقال كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل

وقال بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا

وقال ابن المعتز علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن في اليمين الا انه يغضب صاحبه ويبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

الباب التاسع والخمسون والمائة في مدح شهر رمضان

في الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة واغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين وكان عليه السلام يبشر اصحابه بشهر رمضان ويقول قد جاءكم

الشهر المبارك الذى فيه الليلة التى هى خير من الف شهر
ولله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ستمائة الف عتيق
من النار وله فى آخر ليلة من ليالیه مثل ما اعتق فى جميع الشهر

وقال بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار يسوق الى رضى المعبود
حلبة خيلها الصيام مع النسك وادخالها جنان الخلود

وقال آخر وهو ابدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام فيه ظهور جوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما شر المصانع مصرع الحمام

وقال ابو جعفر محمد بن موسى الرامى

مضى رمضان المرمض الدين فقده وأقبل شوال يبشر بالفطر
فيالك شهرا شهر الله قدره لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

وقال الصاحب

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم العبث فيه حسن العوايد
كذبوا فالصيام للمرء منها كان مستيقظا اتم الفوايد
موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند الساجد

الباب الستون والمائة فى ذم شهر رمضان

كتب ابو على البصير الى ابن مكرم فى شعبان كتبت
اليك فى آخر يوم من ايام الدنيا بإدبار شعبان واول يوم
من ايام الآخرة باقبال شهر رمضان وقال بعض المجان

شهر رمضان مستجلبة بين دُرّتين يعني شعبان وشوّال

وقال البحتري

طال هذا الشهر المبارك حتى ... فدحشينا بان يكون لزاما
كم صحيح قد ادّعى السقم فيه ... وعليل قد ادّعى البرسماما
ولخير من السلامة عندي ... للفتى علة تحل الحراما

وقال ابن الرومي

شهر الصيام وان عظمت حرمته ... شهر ثقيل بطئ السير والحركه
يمشي رويدا فما جين يطلبنا ... فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثارا على فرس ... اجذ في إثر مطلوب على رمكه
شهر كان قوى فيه من قلقي ... وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
يا صدق من قال ايام مباركة ... ان كان يكنى عن اسم الثقل بالبركه
آذمه غير وقت فيه احمده ... وقت العشاء الى ان تصقع الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له ... لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

وقال ايضا

اذا برّكت في صوم لقوم ... دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل ... يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا ... وشهر نهاره مرّ السحاب
فلا اهلا بمانع كل خير ... واهلا بالطعام وبالشراب

وقال غيره

الموت من هذا الصيام ... قد صار لي مثل المنام
ما ان امتّع بالطعام ... وبالمدامة والمدام

ولمؤلف الكتاب

رمضان امرضني وامرض باطني ... بصادات صد كالطبائع اربعه
صفر وصفراء تجر عني الردى ... وصبابة وصدود من قلبي معه

وقال بشار

قل لشهر الصيام قد اتعبت جسمي ... ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجتهد الآن كل جهدك فينا ... سترى ما يكون في شوال

الباب الحادي والستون والمائة في مدح الوعد

حدثني عون بن محمد قال حدثني احمد بن سيار قال وعد يزيد ابن مزيد رجلا قضاء حاجة فقال له لو تعدني وانت تقدر على الانجاز فقال للسر الى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله ان يفتح مكة لنبيه عليه السلام لفتحها اول ارادته ولكن احب ان يتصل سرور المسلمين باتصال انقضاء الاوقات الى وقت انجاز الوعد وعن احمد بن يزيد قال حدثني البحتري عن خارجة ابن مسلم ابن الوليد عن ابيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لي آسرك اليوم بالوعد واجعلك غدا بالانجاز فاني سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطى لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز الوعد وبطل فضل صدق القول

OBeikandi.com

الباب الثاني والستون والمائة في ذم الوعد

اخبرنا محمد بن الحسن قال ابو الحسن المدايني حدثت عن خليل بن احمد قال بلغني ان طلحة الطلحات قال ما بات لرجل علي موعد منذ عقلت وما تململ الموعود في ليلة ليغدو للظفر بحاجته اشد من تململي للخروج اليه من عداته خوفا لعارض الخلف ان الخلف ليس من اخلاق الكرام قيل وكان عمر بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيئا توقيا للخلف قال الشيخ ابو نصر لا ادري ان هذين البابين من الاصل غير اني وجدتهما في النسخة الساقطة الى من اصفهان

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب بمدرسة مصر القاهرة على ذمة ملتزمه ذي اللطائف والظرائف الفاخره العارف من بحر فيض ربه الوافي مولانا الهمام العلامة الشيخ صالح اليافي لازال طبعه حميدا وصنعه مجيدا ومتع بتوفيق انجاله بجاه النبي وآله وذلك في يوم النصف من شهر شعبان المعظم سنة ١٢٧٥ من هجرة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والمنتمين اليه وبقلم كاتبه الراجي من مولاه العفو عن المساوي احمد بن الحاج اسمعيل النحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل جمال الانسان فى لسانه وحلاه بحلى المعارف فتفتحت فى رياض لطائفها كما تربيانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل فى ظليل ظل ظرائف العوارف الزهر القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعلى آله الذين هم احق بالمدائح لجمعهم جوامع الفضائل وصحبه الذين نزهوا نفوسهم عن مثالب المذام ومقابح الرذائل وبعد فيقول مستمطر سحاب لطف الله البارى عبد الهادى نجا الايارى لما جعل الله ابناء مصر غرة فى جبهة عصرهم وزهرة يانعة فى روضة مصرهم وفتق رتق السنتهم ببراعة العبارة الرقه وركب امزجتهم من معين ماء اللطافة والرقه حتى نشؤا مكتسبين من عوارف الفضائل طرفا مجتذبين من فنون الآداب طرفا فطرفا فاذا سمعتهم يحسنون قولا كريما واذا رايتهم يتفاكهون فى اندية تهم رأيت ثمرا نعيما وكان من المناسبات ومقتضى الحكم البالغات تيسير ما يجانسهم من قطائف اللطائف واظهار ما يلايم طبائعهم من طرائف الظرائف ان وفق الله زهرة دوحة المجد وزهرة افق السعد مجتلى انوار المعارف ومجتنى نوار اللطائف اخانا الهمام الفاضل الشيخ صالح منصور الملا فى لازال وقته من شوايب الاكدار صفا الى طبع هذا الكتاب الذى هو مجمع اللطائف والظرائف ليستشهر فيعتطف من حدائق محاسنه كل قاطف اذ هو مع ملح اجمل من ملاحة الملاح واشهى الى النفوس من معاطاة الراح لطائف يشهد مطالعها الدرارى فى مطالعها وعوارف يجتنى قطوفها الرائد فيتفكه بيوانعها فما طالعه انسان الا وسعد طالعه وطلع بدر

انه

انسه مشرقة لوامعه واهتزاهتزاز الروح لمر النسيم والتمل طاف
الساقي عليه بكأس مزاجها من تسنيم ووجد اذ وجد نفسه من فنون
لطائفه بين روح وريحان يداعب بين ماء وخضرة في اوقات انسية
ما يتعشق من ولدان او حور حسان فاركض في رياض الفائقه
ورض طرف طرفك في دوحاته الرائقه ونزه احداقك في حدائقه فهي
نزهة الاحداق وروح نفسك برقائق لطائفه فانها شقائق نعمانية
بلا اشقاق وانظر كيف اجاد مؤلفه تأليفه لله درّه من مجيد حيث
حلى بجواهر ظرائفه من الظرفاء كل جيد واخذ بمجامع القلوب اذ جعل
كل باب منه له في الفضل اسلوب حتى سرت في ارجاء القبول
قبول حسنه رخا وقال لسان طبعه مؤرخا

سفر اللطائف قد بدا لنا الظرفا فكان ظرف حميا نشأة الظرفا

فوائد نظمت نظم الفرائد في سلك السلاسة نظما جاء مؤتلفا

فيه تضدت الاضداد وانبلجت به مواقعها حتى غدت تحفا

يدير راحا على الارواح منعشة تنفس الهم عمن راح مرتشفا

لطائف طبعها مذ راق ارّخ جا حسن اللطائف لا يخفى على اللطفا

٤ ١١٨ ١٦١ ٧٣١ ١١٠ ١٥١

١٢٧٥ سنه